رؤية

مخاطر الإلحاد وسُبل المواجهة

إعداد

الإدارة المركزية للسيرة والسُّنة

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة

إشراف وتقديم

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

المشرف على المشروعات الثقافية
د. محيى عبد الحى

الإخراج الفنى
أحمد طه محمود

تصميم الغلاف
نسرين كشك

المراجعة اللغوية
سيد عبد المنعم

المتابعة
شريف عبد العزيز

الطبعة الأولى: للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشروعات الثقافية

رؤية

مخاطر الإلحاد وسُبل المواجهة

إشراف وتقديم
د. محمد مختار جمعة

مصر. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الإدارة المركزية للسيرة والسنة.
مخاطر الإلحاد وسُبل المواجهة/ إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والإدارة المركزية للسيرة والسنة؛ إشراف وتقديم: محمد مختار جمعة ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠.
١٥٢ ص؛ ١٢ سم. (رؤية).
تدمك: ٥ ـ ٢٧٠٩ ـ ٩١ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
١ ـ الإلحاد والملحدون.
أ ـ جمعة؛ محمد مختار (مشرف ومقدم).
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٠٤/ ٢٠٢٠
ISBN 978-977-91-2709-5
ديوى ٢٤٩

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب. يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾

[سورة محمد، الآية ١٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمـد لله رب العالمـين، والصلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائـه ورسـله سـيدنا محمـد بـن عبـد الله، وعـلى آلـه وصحبـه ومـن تبـع هـداه إلى يـوم الديـن.

وبعـــد:

فمع أننا ندرك أن الإلحاد له أسباب عديدة فكرية ونفسية وفلسفية ومجتمعية إضافة إلى غلو الجماعات المتطرفة، فإننا لندرك أيضًا أن هناك قُوى معادية لديننا وأمتنا ومنطقتنا تعمل على دعم الجماعات الملحدة، ونشر الفكر الإلحادي قصـد هـدم مجتمعـاتنا من داخـلها، بالإرهـاب المصـنوع تارة، والإلحـاد المـوجّه أو المموّل أخرى، وتارة عن طريق إثارة النعرات العرقية أو القبـلية أو الطـائفية أو المذهبية، وأخرى عن طريق بث الشائعات والأكاذيب، فقد صار

الإلحاد موجهًا ومسيَّسًا ومصنوعًا وممولًا، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك، إذ لم تعد كثير من الأمور في مجتمعاتنا عفوية أو طبيعية، وأضحت مخططات الأعداء تستهدف كل جوانب حياتنا ومقوماتها، فمن وجدت فيه ميلًا إلى التدين حاولت جرّه نحو التشدد والإرهاب والتطرف، ومن وجدت فيه نفورًا من التدين حاولت جذبه أو استمالته نحو الإلحاد والأفكار الهدَّامة، ومن وجدت فيه بوادر عصبية دينية أو مذهبية أو قبلية أو عرقية عملت على تغذيتها فيه، مما يتطلب التوعية بمخاطر كل هذه الظواهر السلبية.

وتهدف مخططات الأعداء لنشر الإلحاد المسيس أو الموجه الممول إلى نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد، وبما يفرغه من الرقابة الذاتية الأصيلة، رقابة الضمير، ومراقبة خالق الكون والحياة، فلم يعد أمامه سوى القانون الذي يسعى إلى التفلت منه ما وسعه ذلك.

وثمة فرق كبير وبون شاسع بين حرية المعتقد وبين الاستهداف السياسي تحت مسمى حرية الاختيار، فحرية المعتقد مكفولة، والاستهداف الموجه قصد إثارة الفوضى

وإسقاط الدول أو إضعافها أو تمزيقها من الداخل أمر لا يمكن أن يقبله أحد .

ومع أننا نؤكد أن الإسلام قائم على حرية الاختيار؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾، ويقول الحق ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾.

ومع أن بناء الدول لا يقوم على الضمائر وحدها، إذ لا بد من قانون منظم نعمل على إقراره وإعلاء شأنه، مؤمنين وموقنين أن الله ﷻ يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأنه لا يجوز أن يُترك الناسُ فوضى بلا نظام ولا قانون حاكم.

فإننا لنؤكد – أيضًا – أنه مع كل احترامنا لسيادة القانون وتأكيدنا على إعلاء رايته، وتعزيز مكانته، وترسيخ حكم القانون ودولة القانون، فإننا نؤكد أن العمل على إيقاظ الضمائر وتعميق الحس الإيماني والخوف من الله عزّ وجلّ

أمر لا غنى عنه لصلاح الفرد والمجتمع، إذ من الصعب أن نجعل لكل إنسان جنديًّا أو حارسًا يحرسه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفعه إليه؛ لأنه يراقبه من لا تأخذه سنة ولا نوم، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾، ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإحسان، فقال صلى الله عليه وسلم: (الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

والـذي لا شـك فيـه أن الإلحـاد والخـروج عـلى منهـج الله وفطرتـه التـي فطـر النـاس عليهـا له مفاسـد وشرور لا تُحـصى ولا تُعـدّ على الفـرد والمجتمـع والأمم والشـعوب، منهـا: اختـلال القيـم، وانتشـار الجريمة، وتفـكك الأسرة والمجتمـــع، والخـــواء الـروحي، والاضطـــراب النفسي، وتفشي ظـواهـر خطـــيرة كالانتحار، والشذوذ، والاكتئاب النفسي .

فالسير في طريق الإلحاد والضلال مُدمِّر لصاحبه، مُهلِك له في دنياه وآخرته، فواقع الملحدين مُرّ، مليء بالأمراض والعقد النفسية؛ حيث يقول الحق ﷻ :﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾، ويقول ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾.

ولا يمكـن للعقوبـات الدنيويـة والأعـراف والتقاليـد وحدهـا مهـما كانـت دقتهـا أن تضبـط حركة الإنسـان في الكـون، مـا لم يكـن لهـذا الإنسـان ارتبـاط وثيـق بخالقه،

فالتديـن الحقيقـي يعصـم صاحبه مـن الزلل؛ لأنـه يدرك أن أعمالـه تحـصى عليـه، وأنـه سـيقف بـين يـدي الله ﷻ الـذي لا تخفـى عليـه خافيـة في الأرض ولا في السـماء، حيـث يقـول ﷻ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾.

على أن التدين الذي نبحث عنه ونسعى إليه إنما هو التدين الحقيقي الخالص لوجه الله ﷻ وليس التدين الشكلي أو النفعي أو السياسي.

فلا شك أن ظاهـرة التدين الشكلي وظاهـرة التدين السياسي تعدان من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، سواء من هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر، وإعطاء المظهر الشكلي الأولوية المطلقة، حتى لو لم يكن صاحب هذا المظهر على المستوى الإنساني والأخلاقي الذي يجعل منه القدوة والمثل، ذلك أن صاحب المظهر الشكلي الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعدُّ أحد أهم معالم الهدم والتنفـير من الدين، فإذا كان المظهر مظهر المتدينين مع ما يصاحبه من سوء المعاملات، أو الكذب، أو الغدر، أو الخيانة، أو خلف الوعد، أو أكل

أموال الناس بالباطل، فإن الأمر هنا جد خطير في الصد عن دين الله والتنفير منه، بل إن صاحبه يسلك في عداد المنافقين، يقول نبينا ﷺ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)، ويقول ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

وكذلك من يحصر التدين في باب العبادات والاجتهاد فيها مع سوء الفهم للدين، والإسراف في التكفير، وحمل السلاح والخروج على الناس به، كما حدث من الخوارج الذين كانوا من أكثر الناس صلاة وصيامًا وقيامًا غير أنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلم الشرعي الكافي الذي يحجزهم عن الولوغ في الدماء، فخرجوا على الناس بسيوفهم، ولو طلبوا العلم أولًا كما قال الإمام الشافعي رحمه الله لحجزهم عن ذلك .

فالإسلام دين رحمة قبل كل شيء، وكل ما يبعدك عن الرحمة يبعدك عن الإسلام، والعبرة بالسلوك السوي لا

بمجرد القول، وقد قالوا: حال رجل في ألفٍ خير من كلام ألفٍ لرجل .

على أن العبادات كلها لا تؤتي ثمرتها إلا إذا هذَّبت سلوك وأخلاق صاحبها، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، ومن لم ينهه صيامه عن قول الزور فلا صيام له، يقول نبينا ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)، ولا يقبل الله عز وجل في الزكاة والصدقات إلا المال الطيب الطاهر، يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)، ويقول ﷺ: (لا يَقْبَلُ الله صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُــورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ).

وأخطر من هذا التدين الشكلي التدين السياسي، ونعني به هذا الصنف الذي يتخذ الدين مجرد وسيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس- وبخاصة العامة - لدينهم، إيهامهم بأن هدفه من الوصول إلى السلطة إنما فقط هو خدمة دين الله ﷻ، والعمل على نصرته والتمكين له، مع أن واقع أمرهم عكس ذلك، مما أسهم في الصد عن دين الله، وتغذية التطرف المضاد، مما يتطلب من كل مخلص لدينه أن

يكون قدوة بأفعاله قبل أقواله، وأن يجدد نيته لله ﷻ، فلا بد من أن نجعل الإسلام واقعًا نعيش فيه ويعيش فينا، ونأخذ بكل أسباب الحضارة والرقي حتى نحقق الأنموذج الذي يجب أن يكون عليه المسلم الفاهم لدينه، الحريص على مرضاة ربه، القادر على مواجهة الحجة بالحجة والمنطق، واضعًا نصب عينيه قول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، إنما علينا البلاغ المبين إعذارًا إلى الله من أنفسنا في الدعوة إليه ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث يقول ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تعريف الإلحاد

الإلحاد هو أخطر انحراف عن الفطرة السليمة، والعقيدة النقية، كما أنه انتكاسة عقلية وردة روحية، وقد تطور استخدام اللفظة عبر العصور، فبينما تدور اللفظة من الناحية اللغوية على معانٍ معينةٍ، فإن الدراسات الحديثة تخصصها بأحد هذه المعاني، وتضعها في إطار بعينه.

الإلحاد في اللغة:

يدور المعنى اللغوي للفظة الإلحاد حول معنى أساسى هو الميل والعدول، وقد تفرعت عن هذا المعنى الرئيس معانٍ فرعية كثيرة تستند إلى هذا المعنى الأصلي، منها:

أ – الميل عن القصد.

ب – الشق في جانب القبر، يقال له: اللحد.

ج - البئر غير مستقيمة الحفر، يقال لها: ركية لحود.

د - الملجأ.

هـ - المماراة والمجادلة.

و - الإلحاد في الدين؛ لأنه ميل عن الحق.

ز - الظلم مطلقًا[1].

الإلحاد في القرآن الكريم:

وردت مادة لحد في القرآن الكريم في ستة مواضع، مرة بصيغة «إلحاد»، وثلاث مرات بصيغة «يلحدون»، ومرتين بصيغة «ملتحد».

أولًا: ورود لفظة «إلحاد»، في موضع واحد، وهو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وقد ذكر

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ، ٣/ ٣٩٠، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وتاج العروس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، ٩/ ١٣٤ - ١٣٦، مادة (لحد).

(٢) [سورة الحج، الآية ٢٥].

الطبري في تفسيره كافة الآراء الواردة في معنى الإلحاد بظلم في الحرم، وحصر هذه الآراء فيما يلي:

١ ـ هو الشرك بالله وعبادة غيره به، أي بالبيت.

٢ ـ هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه.

٣ ـ هو الظلم، وذلك باستحلال الحرم متعمدًا.

٤ ـ هو احتكار الطعام بمكة.

٥ ـ هو كل ما كان منهيًّا عنه من الفعل، حتى قول القائل: «لا والله، وبلى والله»[١].

ثم رجح الطبري أن المراد بالظلم هو كل معصية لله تعالى وذلك لعموم الآية[٢].

ثانيًا: ورود لفظة «يلحدون» في ثلاثة مواضع، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٨/ ٦٠٠- ٦٠٢.

(٢) المرجع السابق، ١٨/ ٦٠٢.

(٣) [سورة الأعراف، الآية ١٨٠].

ومعنى الإلحاد في أسمائه ما فعله المشركون من التكذيب بها، والزيادة فيها، واشتقاقهم منها أسماء لآلهتهم[1].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، فقد كان مشركو مكة يزعمون أن النبي ﷺ يتعلم القرآن من عبد رومي، فقال: الذي تميلون إليه أعجمي، قال الطبري: «لسان الذي تلحدون إليه- يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا ﷺ - أعجمى، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدًا ﷺ هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربى مبين»[3].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣/ ٢٨٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامى بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣/ ٥١٦.

(٢) [سورة النحل، الآية ١٠٣].

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٧/ ٢٩٨.

عَلَيۡنَآ﴾[1]، وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإلحاد في آيات الله على آراء عدة، منها :

١ ـ معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاءً به.

٢ ـ أُريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

٣ ـ أُريد به يعاندون.

٤ ـ أُريد به الكفر والشرك.

٥ ـ أُريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

وقد بين الطبري عدم ترجح أحد هذه الأقوال على الآخر[2] .

ثالثًا: ورود لفظة «ملتحدًا»، في موضعين، وهما:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾.

٢ ـ وقوله ﷺ: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾.

---

(١) [سورة فصلت، الآية ٤٠].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١/ ٤٧٨.

وهي في الموضعين بمعنى ملجأ [١].

وعلى هذا يتفق المعنى القرآني مع المعنى اللغوي في إيراد اللفظة بمعنى الميل، سواء كان هذا الميل عن الحق والقصد، وذلك بالشرك أو الظلم أو المعصية، أو مطلق الميل.

الإلحاد في السُّنة النبوية:

وردت مادة لحد في السَّنة النبوية في قول النبي ﷺ: «أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثة: مُلحِدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سُنة الجاهلية، ومُطالِبٌ دمَ امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَه»[٢]، وقال عمر رضي الله عنه: «احتكارُ الطعامِ بمكة للبيع إلحادٌ»[٣] أي: إثم وظلم وميل عن الحق.

الإلحاد في الاصطلاح:

ظهر تخصيص لإطلاق لفظة الإلحاد عند المسلمين على

---

(١) انظر جامع البيان فى تأويل القرآن، ١٧/ ٦٥١، ٢٣/ ٦٦٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٥١، ٨/ ٢٤٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، حديث رقم ٦٨٨٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، ٩/ ٦.

(٣) أخبار مكة، الأزرقى، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت، ٢/ ١٣٥.

المتحلل من الأديان كالدهرية، وغيرهم[1]، فيقول الرازي: «ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين آخر»[2]، وبنفس المعنى واللفظ تقريبًا يعرفه الزمخشري فيقول: «ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين» [3].

وقيل: إن اللفظة تطلق في عرف المسلمين حقيقة على الخارج عن الدين، وتطلق على مرتكب الكبائر إشارة إلى عظم الجرم دون قصد للحقيقة العرفية [4].

---

(١) كالزنادقة الذين ظهروا في عصر المهدى، وقد أطلق أيضًا على الباطنية، فيقول أبو منصور الأزهرى: «وملحدو زماننا هذا هؤلاء الذين تلقبوا بالباطنية، وادعوا أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن علم الباطن فيه معهم، فأحالوا شرائع الإسلام بما تأولوا فيها من الباطن الذى يخالف ظاهر العربية التى بها نزل القرآن، وكل باطن يدعيه مدع في كتاب الله ﷻ يخالف ظاهر كلام العرب الذى خوطبوا به فهو باطل؛ لأنه إذا جاز لهم أن يدعوا فيه باطنًا خلاف الظاهر جاز لغيرهم ذلك، وهو إبطال للأصل، وإنما زاغوا عن إنكار القرآن ولاذوا بالباطن الذى تأولوه ليغروا به الغر الجاهل، ولئلا ينسبوا إلى التعطيل والزندقة»، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، أبو منصور بن الأزهري الهروي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدنى، دار الطلائع، ص٢٤٨.

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠ هـ، ٢٠/ ٢٧١.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ٢/ ٦٣٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٢٧٠.

أما الدراسات الحديثة فقد خصصت إطلاق لفظة الإلحاد على إنكار وجود الله دون باقي المعاني، فقيل: إن الإلحاد عقيدة قوامها إنكار وجود الله[1]، وقيل: والإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله[2].

اللاأدرية والإلحاد:

اللاأدرية: موقف معرفي بالأساس، لا يختص بوجود الله، وهو موقف قديم ذهبت إليه السوفسطائية، حيث قالوا بالتوقف في وجود كل شيء وفي علمه، وبنوا ذلك على أن الشك يتطرق إلى الحسيات والبديهيات والنظريات، فلا يمكن القطع بشيء، فإن قيل لهم: قَطْعُكم بالتوقف ينقض موقفكم، قالوا: التوقف لا يفيد القطع بل يفيد الشك، فنحن نشك ونشك أننا نشك، وهذا في الحقيقة موقف لا يفيد التوقف بل يفيد النفي؛ لأن شكهم لا ينصب على الغيبيات أو ما لا يدرك بالعقل والحس، بل شكوا حتى فيما يقع تحت الحس.

---

(١) المعجم الفلسفي، لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط الثانية، ٢٠٠١م، ١/ ١٠٧.

(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢م، ١/ ١١٩.

وعند المحدثين تطلق اللاأدرية على وُجُوه، منها: إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، أو إنكار معرفة المطلق كما عند «هكسلى»، فهو صاحب مذهب واقعى يرى أن كلاًّ من المادية والروحية خطأ؛ لأنهما يفترضان أننا نعرف حقيقة الأشياء ونحن لا نعرفها، وهو من عبر عن موقفه هذا بـ(اللاأدري) [1]، وتطلق اللاأدرية أيضًا على القول ببطلان علم ما بعد الطبيعة، «فكل فيلسوف ينكر المعرفة أو يقول بوجود حقائق لا سبيل إلى معرفتها، فهو من اللاأدرية» [2].

فاللاأدرية باعتبارها موقفًا معرفيًّا قد يجر إلى الإلحاد؛ لأن صاحبه قد ينكر الحقائق جملة، كما في موقف القدماء من السوفسطائيين، ولكن في الحقيقة اللاأدرية لا ترادف الإلحاد لأنها لا تنفي وجود المطلق، ولكن تنفي معرفته وتصوره، فهي تنفي إمكانية المعرفة، وذلك كما ذكر «هربرت سبنسر»، حيث قال: «إننا في تصورنا للمتناهي نتصور الموجود والنهاية، وفي تصورنا للامتناهي ننفي

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط الخامسة، ص ٣٦٤.
(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ٢٥٨.

النهاية ولا ننفي الموجود»[1]، ويقول: «إن قوانين الفكر التي تحظر علينا تكوين تصور عن موجود مطلق، تحظر علينا أيضًا استبعاد تصوره»[2].

ولذا فرغم قوله بنظرية التطور فقد أفسح المجال للاعتراف بالدين وأن له مجاله الخاص، كما أن للعلم مجاله الخاص ومسائله التي لا يمكن أن تُحل إلا من خلاله [3] .

فمن استطاع من أصحاب هذا المذهب التفريق بين الوجود والمعرفة، لم تكن اللاأدرية عنده مرادفة للإلحاد، ومن خلط في ذلك حيث اعتبر نفيَ إمكانية المعرفة نفيًا للوجود، فاللاأدرية عنده مرادفة للإلحاد.

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٥٨.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٥٩.
(٣) المرجع السابق نفسه، ص٣٥٩، ٣٦٠ .

من تاريخ الإلحاد

لقد أثارت ظاهرة الإلحاد العديد من الأسئلة، والتي من بينها: هل ثمة ارتباط بين هذه الظاهرة وبين هذا العصر وما تميز به من تقدم تقني، وانفتاح معرفي، وتطور تكنولوجى؟ وبعبارة أخرى، هل الإلحاد أحد مظاهر العصر الحديث، وما تميز به من سمات غير مسبوقة، من تواصل دولى، فأصبح العالم كالقرية الصغيرة، فسهل انتقال الأفكار والمذاهب لتجول بين دول المعمورة، وأصبح من اليسير أن تولد فكرة في دولة ما، فتجد من يؤيدها، بل ويتبناها في دول شتى على سبيل التأثير والتأثر؟ أم أن هذه الظاهرة يمكن إيجاد جذور لها في عصور سالفة، وفي حقب تاريخية سابقة؟

وإذا كانت ظاهرة الإلحاد قديمة حديثة، فإلى أي الحقب يعود ظهورها الأول؟ وهل كانت تحت مصطلح إلحاد أم أنه اصطلح على مضمونها الفكري بمصطلحات أخرى؟

وإذا حاولنا تلمس إجابة لهذه الأسئلة في أدبيات أنصار المذهب الإلحادي؛ لوجدنا أنهم يصورون مذهبهم على أنه ثمرة العصر الحديث، وانطلاقه المعرفي، وتقدمه العلمي.

فهم يحاولون من طرف خفي ادعاء الحداثة لمذهبهم عن طريق ربطه بعصر العلم والتقدم، وكأن الدين والتدين يمثلان سمتًا مميزًا لعصور ما قبل التقدم، في محاولة منهم للربط بين الدين والتخلف الحضاري من جهة، ومن جهة أخرى تصوير مذهبهم على أنه ثمرة التحرر العقلي، ووليد النضج الفكري والعلمي الذي شهدته الإنسانية حديثًا.

ويجتهد الملحدون في تقديم تفسيرات مبررة لظاهرة الدين، وبيان أنه ضرورة استدعتها عوامل شتى ترجع في مجملها إلى بدايات الحياة الإنسانية وغريزتها، فمن أقوالهم عن الدين: إنه «شيء لا حقيقة له، وهو مظهر للغريزة الإنسانية الباحثة عن حقائق الكون، والتي تحاول تفسيره[1] .

(١) الإسلام يتحدى.. مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تقديم: د. عبد الصبور شاهين، ترجمة: ظفر الدين خان، د.عبد الصبور شاهين، الدار العالمية للنشر ٢٠١٤م، ص٢٥.

ومنها قولهم: إن الدين نتاج اللاشعور الإنساني، وليس انكشافًا لواقع خارجي، وقولهم: ليس الإله سوى انعكاس للشخصية الإنسانية على شاشة الكون، وما عقيدة الدنيا والآخرة إلا صورة مثالية للأماني الإنسانية، وما الوحي والإلهام إلا إظهار غير عادي لأساطير الأطفال المكبوتة[1].

ويقول «جوليان هكسلي»: إن الدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته[2].

ويعد «أوجست كونت» «الدين حالة بائدة ينبغي أن تنتهي لتصل الإنسانية إلى المرحلة الوضعية التي يحل فيها العلم محل الدين والفكر الميتافيزيقي»[3].

وخلاصة القول، فإن أنصار المذهب الإلحادي ينظرون إلى الدين باعتباره يمثل سمة مميزة لمراحل التطور الفكري والوعي الوجداني السابقة على مرحلة النضج المعاصر، فالإنسان في عصوره السالفة قد مر بمراحل تطور، وعايش

---

(١) الإسلام يتحدى، ص٢٨، بتصرف.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٩.

(٣) مفهوم الفكر المادى، أحمد عبده حمودة الجمل، بحث منشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد الثانى عشر، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص١٥٠.

أزمات وكوارث لم يجد لها تفسيرًا مقنعًا، كما لم يقو على مواجهتها ومجابهتها، فأدى به هذا في وهمهم إلى اختراع فكرة الدين[1]، وعقيدة الإله القوى المسيطر.

ويرجع الملحدون نمو ظاهرة الدين بين المجتمعات إلى عوامل بيئية وسياسية واقتصادية[2]، واجتماعية، بل ونفسية كذلك، فكل هذه العوامل ساعدت على انتشار الدين بوصفه ظاهرةً عرفتها الأمم والحضارات قديمًا.

وبقطع النظر عن مناقشة هذه الآراء، أو تحليل مضمونها الفكري والنفسي الذي ينم عن حالة من الخواء النفسي، والاضطراب الوجداني، والجهل الحقيقي، والغرور الشديد، فإن ما توصل إليه العلم الحديث من اكتشافات هو في حقيقته أدلة على وجود خالق مدبر حكيم، وإلا فكيف تفسر لنا الصدفة هذا الإحكام، وهذا النظام، بل وإن فسرته،

---

(١) تتردد هذه الأفكار كثيرًا في أدبيات اللادينيين والملحدين، ويمكن الوقوف عليها بتصفح مواقعهم على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتى منها شبكة الملحدين العرب، وشبكة اللادينيين العرب، ولعل أهم ما يلحظه المتصفح لهذه المواقع أن التوافق الظاهر، بل التطابق بين مذهب الملحدين واللادينيين في مضمون الأفكار، وفي صياغتها، ومنهجهم في النقاش وأدلتهم على صحتها، وهذا يوحى بأنه ليس ثمة فرق حقيقى بين هؤلاء وأولئك، وادعاء أن الملحدين فصيل واللادينيين فصيل آخر أمر يحتاج مراجعة ومزيد بحث.

(٢) الإسلام يتحدى، ص٢٩، ٣٠.

فكيف تفسر بقاءه واستمراره، فهل هي صدفة، أم عناية وحكمة من خالق أعظم، خلق فأبدع وأحكم، ودبر أمر خلقه جميعًا؟!.

وفي دراسات علم «تاريخ الأديان» اهتم علماء الإنسانيات عامة وعلماء تاريخ الأديان خاصة بالبحث عن نشأة «الدين» بوصفه ظاهرة إنسانية تقاسمتها جميع الأمم، وعرفتها كافة الشعوب، بقطع النظر عن مستواها الفكري والثقافي والحضاري، فلا يخلو مجتمع ما من موروث عقدي ديني، فلقد سجل لنا التاريخ منذ صفحته الأولى قبسات من الفكر الديني لدى أقدم الأمم والقبائل على تنوع المواقع الجغرافية، وتفاوت المستوى الفكري والثقافي .

وينبغي التنبيه بداية إلى أن «الدين» بوصفه ظاهرة رفضها الملحدون، وبحث في نشأتها علماء الأديان هو مطلق الفكر الديني، فلم يفرق هؤلاء ولا أولئك بين ما هو من نسج الأمم والشعوب، فيندرج تحت مسمى أديان وضعية، وبين ما ينسب إلى وحي إلهي، فيصطلح عليه بدين سماوي.

وبالبحث في آراء علماء الأديان نجد أنهم قدموا ثلاث نظريات تعد أطروحات مفسرة لنشأة الدين، قامت وفق

منهج علمي، واتخذت مادتها التي قامت عليها دراستهم بالبحث والدرس والتحليل من استقراء حضارات أقدم الأمم وتحليل المعتقدات الدينية لدى القبائل التي لم تصلها يد المدنية المعاصرة، فظلت في معزل عن أي تطور حضاري، تحافظ على كياناتها الخاصة وموروثاتها الدينية والفكرية والاجتماعية بعيدًا عن يد التغيير[1]، وكانت خلاصة هذه الأبحاث هذه النظريات الثلاث، وهي:

أولًا: نظرية التطور التقدمى أو التصاعدى:

أنصار هذه النظرية يرون أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم أن عقيدة «الإله الأحد» عقيدة جد حديثة.

هذه النظرية نادى بها أنصار مذهب التطور التقدمي، أو التصاعدي Evolution nisme Progressisie ou Ascendent الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع

(١) راجع: الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، أ.د. عبد الله دراز، ص١٠٧.

من فروع العلوم، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عددٌ من العلماء، منهم: "سبنسر Spencer"، و" تيلور Tylor"، و"فريزر Frazer"، و"دور كايم Durkheim"، وغيرهم[1].

ثانيًا: نظرية فطرية التوحيد وأصالته:

وقد أخذ بهذه النظرية فريق آخر؛ حيث قرَّر بالطرق العلمية إثبات «أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشـر، مستدلًّا بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، فتكون الوثنيات إن هي إلا أعراض طارئة، أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة، وانتصر لهذه النظرية جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلماء النفس، ومن أشهر مشاهيرهم "لانج Lang" الذي أثبت وجود عقيدة «الإله الأعلى» عند القبائل الهمجية في أستراليا، وأفريقيا، وأمريكا، ومنهم "شريدر Seheroeder" الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة، و"بروكلمان Brockelman" الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام، و"لرواه LaRoY"، وكاترفاج

(١) انظر: الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، أ.د. عبد الله دراز، ص ١٠٧، بتصرف.

Quatrefages" عـند أقـزام أواسـط أفـريقيا، و"شمـيدت Schmidt" عـند الأقـزام وعند سكـان أستراليا الجنوبية الشرقية، وقد انتهى بحث شميدت هذا إلى أن فكرة «الإله الأعظم» توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية»[1].

ثالثًا: نظرية التعاصر الزمنى:

وتقريرها «أن الرشد والضلال في الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط، صعودًا أو انحدارًا على مدى العصور، بل هما ظاهرتان متعاصرتان، موزعتان في كل أمة وجيل، تبعًا لاختلاف الأفراد في درجات استقامة الحدس العقلي، ونبل الحس الباطني، فلا يخلو جيل ما من نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية من شوائب الخرافة، وأخرى دون ذلك...»[2].

وبعيدًا عن مناقشة هذه النظريات تأييدًا أو معارضة، فليس هذا ما يُعنى به سياق الحديث، ولا لأجل ذلك كان

(١) الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، ص١٠٧، ١٠٨، بتصرف.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص١١٢.

إيرادها، وإنما ما يُعنى به هو ما يستنتج من مجموعها، وفيما يلي بيان ذلك:

١- أنه وفقًا للنظرية الأولى - نظرية التطور التقدمي - فإن عقيدة الإله الخالق الواحد تمثل قمة الهرم في تفسيرها لمراحل التطور العقدى[1]، فماذا بعد الكمال إلا نقيضه.

٢- إذا أخذنا بالنظرية الثانية المفسرة لنشأة «الدين»- وهي على نقيض النظرية الأولى - لوجدنا أن انتشار عقيدة الإله الخالق الأعظم بين مختلف الأجناس والقبائل، بل والأمم المتحضرة، دليل على أنها لم تكن محض خرافة اخترعها الإنسان؛ لأن ادعاء أن تلك الأمم والحضارات كانت على تواصل يسمح بانتقال الأفكار فيما بينها أمر غير قطعى، وإن فسر الوجود، فلن يفسر الانتشار والاستمرار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إذا أخذنا في الاعتبار أن الأمم فيما بينها اختلفت اختلافات جوهرية فكريًّا، وثقافيًّا، وحضاريًّا، فاتسم بعضها بالتحضر والرقي، وعرف عن بعضها البداوة، فإن ذلك مدعاة للتساؤل عن

(١) الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، ص١٠٧.

سر اتفاقهم جميعًا على فكرة الإله الخالق، فإن اختلاف المستوى الحضاري والفكري يكفي مسوغًا لأن يختلفوا في ذلك، فما جاز أن تقبله أمة ليس بالضرورة أن يكون موضع قبول لدى غيرها من الأمم.

٣- أن ادعاء أن الدين حالة بائدة وأن التحرر يكون من المعتقد الدينى عامة، ومن الاعتقاد بوجود إله خالق خاصة، أمر ليس بالحديث، فقد ظهر من تبنى هذه الآراء ونادى بها قديمًا، ومن ثم فإن هذا المذهب قد عاصر زمنيًّا، بل وجاور مكانيًّا الآراء المؤيدة للفكر الدينى والمعتقدة بوجود خالق، وذلك ما يستفاد من النظرية الثالثة، ومن هنا يمكن القول بأن المذهب الإلحادي له جذور تاريخية، كما يمكن القول بأن ادعاء أنه يمثل مرحلة النضج الفكري والوجداني للإنسان أمر غير صحيح.

٤- أن الإيمان بوجود خالق ليس وليد الدين بوصفه غريزةً إنسانيةً استدعتها عوامل شتى كما يدعون، فإن الناس مختلفون في سبل تلبيتهم للغرائز، فإن ذهب البعض إلى أن يخلق لنفسه من محض عقله الاعتقاد بوجود خالق فلماذا يذهب آخرون هذا المذهب؟

وحقيقة القول إنَّ الإيمان بالخالق هو فطرة إنسانية فطر الله الناس عليها، وذلك مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1]، وقد نبه إلى ذلك الحديث الشريف في قوله ﷺ: (كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ...) [2].

فالإيمان بوجود الخالق ﷻ فطرة وإن تباين الناس في تعبيرهم عن مضمونها، وينسب للشهرستانى قوله: «ومما اتفقت حوله الأديان والملل أن للعالم قوة إلهية مدبرة له، بيد أنها لها أسماء شتى»[3]، وما كان اختلافهم في معتقداتهم في الخالق ﷻ إلا للتفاوت فيما بينهم في الاسترشاد بنور الوحي الإلهي، وبعدهم عن المعين الصحيح، وعدم فهمهم لمقاصده السامية.

ولما كانت هذه الدراسة تُعنى بدراسة الإلحاد بوصفه ظاهرة يروج لها حديثًا، ويعبر مضمونها الفكري عن هدم

---

(١) [سورة الروم، الآية ٣٠].

(٢) رواه البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين.

(٣) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، بيروت، ص ٣٣٠.

عقيدة الألوهية بإنكار وجـود الخـالق ﷻ؛ فإنها سـوف تقتصـر على تتبع مسار هذا الفكر تاريخيًّا، ولتيسير ذلك يمكننا التمييز بين ثلاث مراحل أساسية مرَّ بها الإلحاد بوصفه ظاهرة:

أولها: مرحلة الظهور الأول، «بواكير الفكر الإلحادي».

ثانيها: المرحلة الوسيطة.

ثالثها: مرحلة الظهور الحديث والمعاصر.

وفيما يلي إشارة سريعة لكل مرحلة على حِدة.

أولًا: مرحلة الظهور الأول:

وتهتم هذه المرحلة بتحديد أول المواطن الجغرافية والبيئات الفكرية والعصور الزمانية التي احتضنت بذور الفكر الإلحادي، ولقد ورد في ذلك ثلاثة آراء:

١- رأي يرجع أول إرهاصات الفكر الإلحادي إلى الفلسفة اليونانية، خاصة في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وذلك لما ربط بين الفكر الإلحادي والفكر المادي في تفسيرهما نشأة العالم والموجودات[1]،ويُذكر أن أول

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ١٢٠.

إشارات لهذا الفكر توجد عند «ديمقراطيس» أحد فلاسفة اليونان القدماء، وتلقفها من بعده «أبيقور».

وقد انقسم حكماء اليونان إلى فئتين: «ذهبت إحداهما إلى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة، مخالفة للمحسوسات في لوازمها، منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها، وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي إلى موجود مجرد واحد ... مبرأ الذات من التأليف والتركيب، ومحال عند العقل تصور التركيب فيه، وجوده عين حقيقته،وحقيقته عين وجوده، وهو المصدر الأول، والموجد الحقيقى، والمبدع لجميع الكائنات، مجردة كانت أو مادية، واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين «الخاضعين لله» ومنهم فيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ومن أهل مذهبهم كثير.

وذهبت الفئة الأخرى إلى نفي كل موجود سوى المادة والماديات، وأن وصف الموجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول وراءه، وعرفت هذه الطائفة بالماديين، ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها، نسبه الأقدمون منهم إلى طبيعتها... ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند

العـرب بالطبيعيـين... ورأس القائلـين بهـذا القــول ديمقراطيـس»[١].

ويؤيد هذا الرأي د.عبد الحليم محمود، حيث يشير إلى أنه يمكننا الوقوف على البذور الأولى للإلحاد لدى كل من السوفسطائيين، وأبيقور ، والرواقيين[٢] .

ويعتمـد أنصـار هـذا الـرأي على نصـوص الفـلسفة اليونانية، والـتاريخ الـيونانى القـديم، ومن ثم فإنه طرح علمي له ما يؤيده من وثائق ونصـوص فلسفية وتاريخية يعتد بها، أما الجزم بأنه «ما كانت الإنسانية تنحرف قط عن التوحيد إلى الإلحاد، وما كان للإلحاد وجود قط فيما قبل الحضارة اليونانية القديمة»[٣]، فإنه أمر يحتاج لمزيد من البحث والتأصيل.

---

(١) الرد على الملحدين، المسـمى الرد على الدهريين، للسـيد جمال الديـن الأفغانى، نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ: محمد عبده مفتى الديار المصرية، مطبعة الموسوعات، مصـر، ص٢٦-٢٨بتصرف، وانظر: تمهيد للفلسفة، للدكتور. محمود حمدى زقزوق، دار المعارف بمصر، وفيه يشـير المؤلـف إلى أن ديمقريط عاش في الفـترة : ٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م، انظر: ص١٦٠ وما بعدها.

(٢) الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود، ط دار المعارف، ص: ٨٨-٩١، بتصرف.

(٣) الإسلام والعقل، ص٨٧، وانظر: ص٩١.

فإذا راعينا امتداد الخط الزمني السابق على الحضارة اليونانية إلى حقب موغلة في التاريخ، وأيضًا لو نظرنا إلى امتداد الوجود الإنساني في بيئات مجتمعية عاصرت الحضارة اليونانية القديمة، لبرز لنا احتمال أن يكون هناك موضع مكاني أسبق في احتضان الفكر الإلحادي، أو بناء فلسفي وفكرى أسبق في إنماء الفكر الإلحادي وظهوره به.

٢- رأي يرى أن بواكير المذهب الإلحادي تعود إلى الجينية[١] والبوذية[٢] من أديان الهند القديمة، التي يؤرخ لها بحقب ما قبل الميلاد، فيذكر أن ظهورهما يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد [٣] باعتبارهما رد فعل مناهضًا لسلطة البراهمة[٤]، وما خلفت من نظام طبقي عانى منه الهنود.

---

(١) تنسب الجينية إلى مهاويرا، وإن لم يكن هو مؤسسها الأول، ويذكر أن مولده كان عام ٥٩٩ق.م، انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الحادية عشر ٢٠٠٠م، ص١٠٧.

(٢) البوذية ومؤسسها سذهاتا، ولد ٥٦٣ ق.م، انظر: الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، د.عبد الله محيى عزب، حولية أصول الدين، العدد ٥، وانظر: أديان الهند الكبرى، ص١٣١.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، ص١٠٤.

(٤) المرجع السابق، ص١١١، وموسوعة الأديان والنحل، د. أحمد أحمد غلوش. الطبعة الثانية. القاهرة. ٢٠١١م، ص٢١٤، والجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، ص٢٤٠٢.

فيذكر أن السبب وراء إنكار مهاويرا - وإليه تنسب الجينية - لوجود خالق، أن ديانته «كانت نوعًا من المقاومة للهندوسية، وثورة على سلطان البراهمة، ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالآلهة، فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد براهمة، أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، ومن هنا سمى هذا الدين دين إلحاد...»[1].

أما بوذا فإن كانت فلسفته مناهضة كذلك للهندوسية وآثامها الطبقية، إلا أن إنكاره للخالق لم يبد بجلاء في فكره[2]، وذلك لأنه اهتم بالجانب العملي والأخلاقي في دعوته، ومن ثم نشأ الخلاف حول موقف بوذا من «فكرة الإله»، فهل هو من المنكرين لوجود إله، فيكون مذهبه أحد مواطن الفكر الإلحادي، أم أنه أثبت وجود الإله![3].

٣- رأي يذكر أن أصول الفكر الإلحادي تعود إلى مذهب الدهرية، وهي مما عرف من مذاهب الفرس قديمًا.

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص١١١، والجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، ص٢٣٩٤.

(٢) انظر: الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، ص٢٤١٤ وما بعدها، وموسوعة الأديان والنحل، ص٢٠٣.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، ص ١٥١-١٦٢.

فيذكر أن الدهرية هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية، فهي مذهب كل من اعتقد في قدم الزمان والمادة والكون، وأنكر الألوهية، والخلق، والعناية، والبعث، والحساب... أما الخلق والتدبير للكون فينسبونه للكواكب[1].

ويستند هذا الرأي إلى ما أورده المستشرق «دي بور» من أن نشأة الدهرية تعود إلى أصول فارسية، وأن كلمة الدهرية «Zrwanismus» كلمة فارسية[2] تقابل «الزروانية» نسبة إلى «زروان» أو «زرفان»، وهي تعني الدهر أو الزمن الذي لا نهاية له.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى مذهب الدهرية في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3]، ومن الآراء الواردة في تفسير هذه الآية ما ذكره الزمخشري من

(١) الموسوعة الإسلامية العامة، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، مادة الدهرية، ص٦٤٨.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام لـ «دي بور»، ترجمة: د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، مصر، ص٢٨.

(٣) [سورة الجاثية، الآية ٢٤].

أن الدهرية كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة إلى الدهر والزمان...»[1]، ويصنف الإمام «الشهرستاني» دهرية العرب ضمن معطلة العرب الذين ظهرت مقولتهم في البيئة العربية قبل الإسلام[2].

ولقد اهتم علماء الكلام المسلمين بمناقشة الفكر الدهري لما رأوا فيه إنكار الألوهية، والقول بقدم العالم، فيقول القاضي عبد الجبار: «لقد دللنا على إبطال القول بقدم الأجسام، وأنه لا بد من إثبات صانع مدبر قديم، ودللنا على أن الجسم لا يجوز أن يفعل الجسم، وذلك يبطل قول من قال منهم بالدهر والتعطيل...»[3].

تلك كانت أهم الآراء المؤرخة للفكر الإلحادي في حقبه الأولى ولو حاولت وضع سمات مميزة لهذه المرحلة من

---

(١) الكشاف، ٣/ ٥١٢، ٥١٣، وانظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ١٥٠، مفاتيح الغيب، للفخر الرازى، ٢٧/ ٢٣٨.

(٢) انظر: الملل والنحل الإمام الشهرستانى، تحقيق: أ. محمد سيد كيلانى، مطبعة الحلبى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م، ٢/ ٢٣٥، وانظر: المغنى في أبواب التوحيد والعدل، القاضى عبد الجبار الأسد آبادى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا، ٥/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣) المغني، ٥/ ١٥٧.

مراحل المذهب الإلحادي تميزها عما تلاها من مراحل لكانت على النحو التالي:

(١) أنها جميعًا وليدة فكر عقلي نما بعيدًا عن الوحي الإلهي، استدعته عوامل مختلفة، كأن يمثل حركة مناهضة لأديان وثنية، أو أنظمة اجتماعية سيئة خلفتها معتقدات باطلة، أو يكون نتاج تأمل فلسفي مادي، حاول تفسير نشأة العالم والموجودات تفسيرًا يخضع لإدراك الحواس، ولا يتجاوزها إلى ما لا يخضع للحس والمشاهدة.

(٢) أنها في بيئاتها المختلفة «الهند أو بلاد اليونان أو بلاد فارس» جاورت أنماطًا شتى من الاعتقادات الدينية التي ليس من بينها أديان إلهية، فكأنها أشبه بباطل يدفع باطلًا، وليست بباطل يدفع دينًا إلهيًّا.

(٣) أنها في مناهضتها لمعتقدات عصرها لم تتخذ سوى الجدل والنقاش العقلي سبيلًا لها، فظل الأمر خاضعًا للذوق الوجداني وللقبول العقلي وحسب، وهذا بخلاف إلحاد العصر الحديث الذي اتخذ من معطيات العلم الحديث سلاحًا يواجه الدين.

(٤) أنها لم تأخذ الطابع الجماعي إلا فيما خلفت من فلسفات عملية أخلاقية.

(٥) أنها نزعت في فلسفاتها الأخلاقية صوب إشباع الغرائز والشهوات ؛ فكانت مادية في طابعها الميتافيزيقي والأخلاقي، هذا باستثناء «البوذية الهندية[١]»، فقد اتسمت بالمثالية الأخلاقية، ولعل السبب في ذلك أنها وإن قامت مناهضة للديانة الهندوسية كحركة إصلاحية لما خلفته من نظام طبقي، إلا أنها ظلت متأثرة بأخلاقها العملية، والتي تدعو إلى التقشف والزهد[٢].

أما فلسفة ديمقراطيس الأخلاقية[٣] المثالية، فيمكن إرجاع السبب في ذلك إلى أن آراءه الفلسفية التي استند إليها في تفسير نشأة العالم، هي آراء عقلية محضة، ولم تكن موجهة لمعارضة معتقد ديني أو لنظام أخلاقي، فليس بالضرورة أن تتسم أخلاقه العملية بالمادية.

ثانيًا: المرحلة الوسيطة:

وهي مرحلة تلت مرحلة الظهور الأول، وما شهدته من معتقدات وضعية، وفلسفات مادية، وسبقت الظهور

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى، ص١٣٥ وما بعدها، والجينية البوذية، ص ٢٤٢٦ وما بعدها.
(٢) انظر: موسوعة الأديان والنحل، ص٢٠٢، ٢٠٣.
(٣) انظر: تمهيد للفلسفة، أ.د. محمود حمدى زقزوق، ص١٦٢.

الأوسع انتشارًا في العصر الحديث، وأعني بها ما عرف في أوروبا بالقرون الوسطى، وقد قابل في العالم الإسلامي أوج حضارته وتطوره، ولعل أهم ملمح مميز لهذه المرحلة عن سابقتها أن الإلحاد ظهر في بيئات عرفت الأديان الإلهية، فأصبح الإلحاد مناهضًا في أفكاره معتقدات دينية لها ما يؤيدها من الوحي الصحيح.

ويمكن التمييز في هذه المرحلة بين مستويين من المذهب الإلحادي، أحدهما ظهر في العالم الإسلامي، وثانيهما احتضنته أوروبا، ولقد كان التمييز بين هذين المستويين مرده إلى أمرين هما:

١- أن العالم الإسلامي في تلك الفترة شهد من النمو الحضاري والتقدم المعرفي ما أهله إلى أن يكون الأسبق حضاريًّا في تلك العصور، بينما عانت أوروبا في تلك الفترة - والتي عرفت بالعصور الوسطى - من التخلف الحضاري والجمود العلمي ما وسم تلك الفترة بعصور الظلام لديها، وهذا يوضح تباين البيئتين ثقافيًّا وحضاريًّا.

٢- أن الإلحاد في البيئة الأوروبية توجه مباشرة صوب إنكار الإلوهية، ومن ثم إنكار الدين بوجه عام، بينما نجد

أن الإلحاد في البيئة الإسلامية توجه لمناهضة النبوة، وكأن الإلحاد في تلك الفترة اصطبغ وفقًا لما يناسب بيئته التي ظهر فيها.

ويلمح د. بدوى إلى ذلك في قوله: «... وبإنكار الإله اللامتناهي عند الغربى ينتفي التدين، وبإنكار النبوة والأنبياء عند العربي تزول الأديان...»[1]، ويقول أيضًا: «... يجب أن نبصر المعنى الخفي المستتر وراء إنكار النبوة، إذ لا بد أن يفسر هذا الإنكار على أنه يتعداها إلى الألوهية نفسها؛ لأنه ما دامت النبوة هي السبيل الوحيد الذي تعرفه هذه الروح العربية للوصول إلى الألوهية، فإنها بقطعها إياه قد قطعت في الوقت نفسه كل سبيل إلى الألوهية كذلك»[2].

ومن تلك الفترة اعتبرت الفلسفة المادية الوجه التنظيري للمذهب الإلحادي، ومن ثم أصبح البحث في تاريخ الفلسفة المادية بحثًا في تاريخ الإلحاد.

---

(١) من تاريخ الإلحاد في الفكر الإسلامي، د.عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، أبريل ١٩٨٠م، ص٥، ٦.

(٢) المرجع السابق، ص٦، والشيء بالشيء يذكر، ذلك أن منكرى السُّنة «القرآنيين» وإن لم ينكروا النبوة عقيدة إلا أنهم أنكروها منهجًا وتطبيقًا، وفي ذلك أيضًا قطع للطريق بوجه من الوُجُوه في الوصول إلى الألوهية.

هذا وقد انزوت الفلسفة المادية فترة القرون الوسطى في أوروبا، ويمكننا أن نلمح هذا في قول أ.د. محمود حمدي زقزوق بأن «هناك العديد من الفلاسفة الماديين في العصر القديم والعصر الحديث، ولكننا لا نصادف مثلهم في العصر الوسيط في أوروبا؛ لأن الفلسفة في ذلك الحين كانت مهمتها خدمة اللاهوت، فلم يكن هناك مجال لظهور المذاهب المادية التي هي في الغالب مذاهب إلحادية»[1].

غير أن اختفاء المذهب الإلحادي في أوروبا فترة القرون الوسطى كان مقصورًا على المستوى النظري، أما على المستوى العملي فإنه كان حاضرًا وإن كان مستترًا خلف حركات ادعت الإصلاح.

وإذا انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا أنه بنشاط حركة الترجمة - خاصة ترجمة تراث اليونان والفرس - انتقلت إلى الثقافة العربية والإسلامية أفكار منافية للمعتقدات الإسلامية، تنبه لها من العلماء المسلمين من نقدها ونقضها في سياق علم الكلام والفلسفة الإسلاميين.

وتعد خطورة بعض هذه الأفكار في أنها في مضمونها تهدم المعتقدات الإسلامية، مثل قولهم بإنكار النبوة، أو

(١) تمهيد للفلسفة، ص١٦٠.

بقدم العالم، أو نظرية الذرة في تفسير نشأة العالم، وهي آراء في مجملها تمس عقيدة الألوهية وحقيقة التوحيد.

ولعل أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها على ظاهرة الإلحاد في تلك الفترة ما يلي:

١- أن الإلحاد ظهر في أوروبا في ثوب حركات إصلاحية مناهضة للتخلف الفكري والحضاري والمجتمعي، ومن ثم فإنه اتخذ من مساوئ الحياة في القرون الوسطى ذريعة للدعوة إليه، وإن كان مستترًا .

٢- أن الإلحاد ظهر في البيئة العربية الإسلامية ولكن بمؤثرات على النقيض من مثيلاتها في البيئة الأوروبية، أي أنه كان مظهرًا من مظاهر الانفتاح الفكرى والثقافي والحضاري الذي شهدته الحضارة الإسلامية، عند بعض من لم يحسنوا فهم هذا الانفتاح، أو يكون لديهم من الحصانة الفكرية ما يحميهم من مثالبه، خاصة بعد اتساع حركة الترجمة لأدبيات الأمم والحضارات السابقة.

٣- أن ظهور أفكار إلحادية في البيئة العربية الإسلامية لم يأخذ طابعًا جماعيًّا، فليس ثمة ما يدعو لذلك، وإنما كان

مقصورًا على البحث والدرس ومجالس العلماء ومدوناتهم نفيًا أو إثباتًا، أما ادعاء انتقال هذا الفكر للأوساط المجتمعية فليس ثمة ما يؤيده.

٤- أن ظاهرة الإلحاد في بيئتيه الأوروبية والإسلامية - آنذاك - لم تتخذ من دعائم يستند إليها سوى الحجاج العقلي والنقاش الفكري.

٥- أن أهم مظاهر ظاهرة الإلحاد في تلك الفترة أنها كانت أفكارًا مناهضة لمعتقدات منسوبة إلى أديان إلهية، وفي هذا تطور نوعي في مجالات النقاش ومسائله، فظهرت قضايا جديدة مثل النبوة ومسائلها، ولم تكن لتظهر لولا أن المذهب الإلحادي توجه لمعارضة أديان إلهية.

٦- أنه يمكن الوقوف على أدبيات الفكر الإلحادي في هذه الفترة، خاصة وأن ثمة وثائق ومؤلفات تحوي أفكارهم ما زالت موجودة يمكن الرجوع إليها.

٧- أن الفكر الإلحادي بدأ الارتباط الوثيق بينه وبين الفلسفات الأخلاقية المادية الموغلة في إشباع الغرائز والشهوات في هذه الفترة، وامتد هذا الترابط ليكون هو السمة الغالبة على أخلاق الإلحاد في العصر الحديث.

٨ - أن الإلحاد ليس وليد التحرر العقلي أو التقدم العلمي كما يزعم البعض؛ حيث إن ظهور الإلحاد في أوروبا والعالم الإسلامي في تلك المرحلة الوسيطة، على ما بين العالمين الأوروبي والإسلامي - آنذاك - من تفاوت ثقافي وحضاري خير دليل على ذلك؛ فلم يكن في أوروبا - آنذاك - أيٌّ من عوامل التقدم، بل الأمر على نقيض ذلك، فقد كانت تعاني تخلفًا ورجعيةً جعلتها في ذيل الأمم، والأمر بالنسبة للحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي كان مختلفًا، فقد امتلك المسلمون - آنذاك - مفاتيح الحضارة ومصابيح التنوير، وعلى الرغم من ذلك لم يلقِ الفكر الإلحادي قبولًا أو انتشارًا بين أبنائه، بل ظل مطاردًا فكريًّا ومجتمعيًّا، وظل الدين والتدين هو سمت المجتمع الإسلامي وأهم مميزاته.

ثالثًا: مرحلة الظهور الحديث والمعاصر:

يعد عصر النهضة بمثابة تمهيد للعصر الحديث، وقد حدثت في ذلك العصر نهضة شملت كل جوانب الحياة المادية، والروحية، والجسمية، والعقلية، وظهر ذلك في شكل نهضات أدبية، وفنية، وعلمية، ودينية، هذا فضلًا عما كان لها من آثار سياسية واجتماعية...»[1].

(١) انظر: دراسات فى الفلسفة الحديثة، د. زكريا إبراهيم - مكتبة مصر - القاهرة، ص١٦ بتصرف.

ويعد ظهور العلمانية بمعناها المتطرف الذي يحاول إقصاء الدين دلالة واضحة على ضعف سلطان الدين في النفوس، الذي انتقل من طور الخفاء إلى الإعلان المجاهر باعتناق المذهب العلماني.

ولقد مرت العلمانية في الفكر الأوروبي بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة العلمانية المعتدلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد اعتبر فيها الدين أمرًا شخصيًّا لا شأن للدولة فيه.

المرحلة الثانية: هي مرحلة العلمانية المتطرفة في القرن التاسع عشر، وقد بلغت ذروتها في التطرف في الفكر المادي التاريخي الذي أراد أن يمحو كل أثر للدين[1].

ولم تكن العلمانية المتطرفة الإلحادية - إن جاز التعبير- هي الظهور الأول للمذهب الإلحادي في العصر الحديث، وإنما سبق وأن ظهر عند دينيه ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤)، ولامترى (١٧٠٩-١٧٥١)، وهلباخ (١٧٢٣- ١٧٨٩)، وأوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧)، وغيرهم في الفلسفات

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة د. زكريا إبراهيم، ص٢٣، هامش ١ .

المادية الحديثة التي هي إحياء للمادية الإلحادية القديمة عند ديمقراطيس وأبيقور[١].

ويأتي القرن التاسع عشر ليشهد المزيد من الاكتشافات العلمية، والنظريات الطبيعية المفسرة لنشأة الكون وأصل الحياة، وكان من أهم النظريات التي ظهرت في تلك الآونة « نظرية التطور التي قال بها عالم الأحياء الإنجليزى تشارلس دارون Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م)، وقد عرض دارون عام ١٨٥٩م في كتابه «أصل الأنواع» هذه النظرية...»[٢].

وقد ترك دارون في كتابه «أصل الأنواع» مسألة أصل الإنسان معلقة، ولكنه عاد إليها في كتاب آخر صدر عام ١٨٧١م، هو كتاب «أصل الإنسان»، وفي هذا الكتاب امتدت نظرية التطور لتشمل الإنسان أيضًا، وبذلك فقد الإنسان في مذهب دارون مكانته الخاصة في عالم الأحياء، ولم يعد يبدو أن الله قد خلقه خلقًا مباشرًا، بل بدا نتاجًا للسلالة البيولوجية العامة، وبذلك كان نوعًا من أنواع الحيوانات بجانب أنواع أخرى كثيرة[٣].

---

(١) انظر: تمهيد للفلسفة، ص١٦٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٧٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص١٧٦.

ولم يكـــن لدارون أن يذهـــب هـذا المذهب في تفسير نشأة الإنسان – وليس خلقه – لولا إنكاره لوجود الخالق، واعتقاده بنظرية التطور والارتقاء، وللقارئ أن يتلمس أصول نظرية «التطور» عند دارون في المقولات المنسوبة لأبيقور[1].

ومما يعجب له العقل أن تظل مثل هذه الأفكار سائدة بين أنصار المذهب الإلحادي يرددونها ويروجون لها على أنها حقائق، في حين أنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا صحتها، فظلت مجرد آراء لم يقطع بصحتها مذهبهم العلمي الطبيعي الذي يستندون إليه في التأسيس لمذاهبهم الإلحادية، هذا بالإضافة إلى ما قدمه العلماء من انتقادات علمية تقوض أصل مقولتهم في التطور.

وإذا انتقلنا للبحث في ظاهرة الإلحاد المعاصرة التي شهدتها مجتمعاتنا العربية والإسلامية لوجدنا أن ادعاء أن عوامل ظهورها في الأوساط الإسلامية مماثلة أو مشابهة لما كان عليه الحال في أوروبا إما يعود لجهل بحقيقة الإسلام، أو لتجاهل حقيقته، فما كان ثمة عداء قط بين الإسلام

(١) انظر: الرد على الملحدين، المسمى بالرد على الدهريين، ص٢٩، ٣٠.

والعلم والعلماء، بل إنه شجع وحث على طلب العلم والإفادة منه مثلما الحال في تعاليم الإسلام، ألا يكفي أن يثبت القرآن الكريم الرفعة والدرجات العلى لا للمؤمنين وحسب، وإنما لأهل العلم كذلك، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، والأدلة والشواهد من القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، ومن تطبيق السلف الصالح لأكثر من أن تحصى.

أهم سمات الإلحاد في هذه المرحلة « العصر الحديث »:

١- أنه اتخذ من العلوم الطبيعية واكتشافاتها بديلًا عن الدين في تفسيره للحياة ونشأة الكون والأحياء.

٢- أنه لم يكتف بالجدل العقلي، ولم يستند إلى مجرد الذوق الوجداني في القبول به واعتناقه، وإنما اعتمد في مجادلة الدين، أو بالأحرى ما ادعى أنه حقائق دينية جهلًا أو افتراءً، ومخاصمته على بعض حقائق العلم وإنجازاته وكثير من المغالطات العلمية، وكان لذلك أثره الجلي في سرعة انتشاره وتأييده.

(١) [سورة المجادلة، الآية ١١].

٣- أنه ارتبط بالعديد من الحركات الثورية التي غيرت أنظمة بعض الدول سياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا واجتماعيًّا، مثل: الشيوعية، والماركسية.

٤- أنه ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفات الأخلاقية المادية التي تؤثر إشباع الرغبات وإرضاء النزوات على الالتزام بأية قوانين أخلاقية «دينية أو مجتمعية»، حتى وإن كان مبعثها الطبيعة العقلانية في النفس الإنسانية، فهي لم تراع في الإنسان إلا غرائزه المعبرة عن الجانب المادي في طبيعته البشرية.

ومن أهم سمات الفكر الإلحادي التي يتبينها من يطالع مواقع اللادينيين والملحدين العرب، خاصة في نقدهم للإسلام، ما يلي:

١- اجتزاء النصوص من سياقها بغية التوصل إلى أحكام تتنافى في حقيقتها مع مراد النص.

٢- الجهل اللغوي، وفي بعض الأحيان تعمد إخفاء المعنى الصحيح لبعض النصوص؛ مما يؤدي إلى الالتباس في فهم المراد منها.

٣- الاعتماد على المغالطات العلمية والمفاهيم المغلوطة والأسلوب الخطابي، خاصة عند مناقشة قضية دينية من منظور علمي أو العكس، لإيهام التناقض والتعارض بين العلم والدين، وبيان أن النص الديني لا يستطيع الثبات أمام حقائق العلم فضلًا عن نقده والتفوق عليه، جهلًا منهم، وتلبيسًا على الناس.

٤- تتبع مفاهيم وآراء شاذة واجتهادات مرجوحة، وادعاء أنها تمثل صحيح الدين، ثم الطعن عليها متجاهلين حقيقة موقف العلماء منها ونقدهم لها.

٥- محاولة تأكيد أسطورة الصراع المزعوم بين الدين والعلم، وذلك بتقديم الفروض العلمية على أنها حقائق ومسلمات ونظريات قطع العلم بثبوتها، مثل نظرية التطور والارتقاء، وهي في حقيقة الأمر ليست إلا افتراضات لم تثبت أمام الانتقادات التي أثيرت ضدها.

٦- تتبع بعض النصوص الدينية التي يوهم ظاهرها التعارض فيما بينها، وادعاء أن ثمة تناقضًا ينم عن بشرية النص، ومن ثم الطعن في عصمة الوحي وقداسة النص الديني.

٧- يلحظ المتتبع لأدبياتهم تحررهم من أخلاقيات النقاش والجدال المنهجي، كما يلحظ أساليبهم الغوغائية، وكثرة السباب والتهكم غير المبرر وطريقتهم في خلط الموضوعات والقضايا بطريقة تؤدي إلى التشعب والبُعد عن المضمون الحقيقى للقضية المطروح نقاشها، وأهم من ذلك جهلهم بطبيعة ما يطرحون من قضايا للنقاش.

❊ ❊ ❊

أسباب ظهور الإلحاد

أولًا: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الغربي:

يـذكرُ أن أوّلَ كتابٍ مُصرِّح بالإلحـــادِ وداعٍ لهُ ؛ ظـهرَ في أوروبـا في سـنةِ ١٧٧٠م، وهـو كـتاب نظـام الطبيعـة "The system of nature"، للكـاتب بـارون دي هـولباخ، والذي قطع فيه بضرورة انصراف الإنسان عما وراء الكون إلى الكون نفسه، فيقول: إن الإنسان موجود في الطبيعة وهو مطوع لقوانينها لا يستطيع أن يعتق ذاته منها.

وقـد تبنّى الفكـرَ الإلحـادي في أوروبـا كِبارُ الفلاسـفةِ والمؤرخـينَ، مـن أمثـال: «نيتشـة»، و«فولتيـير»، و«كارل ماركـس»، و«إنجلـز»، و«راسـل»، و«كونـت»، وغيرهم مـن كِبـار الفلاسـفةِ وعلـماءِ الاجتـماع والتاريـخ، ممّا حدا بالنّـاسَ إلى الوثـوق بهم، والتحـوّل إلى آرائهم كـردّةِ فعل

للمواقـفِ الدينيـة المتطرفـة، وكذلكَ ظهـور مجموعةٍ من التناقضـاتِ بـين بعـض المعتقدات المشـوهة، وبـينَ بعض المُخترعـاتِ والمُكتشـفاتِ العلميّةِ[1].

ويمكن أن نقسم الأسباب التي أدت إلى توجه الغرب للإلحاد إلى الآتى:

(١) أسباب معرفية:

وتتلخص الأسباب المعرفية التي أدت إلى الإلحاد في الغرب إلى سببين رئيسين، وهما:

أ- اكتشافات علمية:

حتى خمسمائة عام مضت، كان المصدر الأساس للمعرفة في أوروبا آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون وكوكب الأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة[2]، وبناء على هذه المصادر كون إنسان العصور الوسطى في أوروبا صورة عن العالم والكون.

---

(١) انظر: الفكر العربي الحديث.. أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، رئيف خوري، ط. دار الساقي، بيروت، ص ٥٦.

(٢) انظر: رحلـة عقل: د. عمرو شريف، قـدم للكتاب: أحمد عكاشـة، ط نيولوك للطباعة والنشر، ص ١٤.

ومـع بداية عصـر الـنهضة والتطـور العـلمي وظهـور اكتشافات علمية تخالف ما رسخ في أذهان المجتمع الأوروبي على أنه حقائق علمية ودينية في الوقت نفسه، بدأ صراع عميق وشديد بين القديم الذي يظن الناس أنه يمثل الدين، والجديد الذي يمثل الحقائق العلمية، فها هو «كوبر نيكوس» عالم الرياضيات بحساباته الرياضية و«جاليليو» بتلسكوبه، يثبتان أن الأرض ليست مركزًا للكون[1]، بل هي مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس، فانهار الزعم بأن الأرض ثابتة في مركز الكون، وبأن الشمس والقمر وبقية الكواكب يدورون حولها في دوائر، وكما انهار هذا الزعم انهارت كثير من المعتقدات بفضل المكتشفات العلمية[2]، مما دفع إلى اعتقاد أن الدين يقف عائقًا أمام التقدم العلمي، فبدأت العقول في التشكك بأساسيات الدين الثلاثة، وهي:

١ ـ الإقرار بأن هناك إلـهًا خلق الكون.

٢ ـ أن هناك خطة كونية وغرضًا كونيًّا للكون، وهو ما يسمى بالغائية.

---

(١) انظر: فجر الفلسـفة قبل سـقراط، د.أحمد فؤاد الأهوانى، ط. عيسـى البابى الحلبى، ط الأولى، ١٩٥٤م، محاضرات ألقاها بالجامعة ما بين عام ١٩٥٣- ١٩٥٤م، ص ٢٤٣.

(٢) راجع: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، د.محمد نبيل النشواتى، دار القلم، دمشق، ص١٩.

٣ - أن العالم يمثل نظامًا أخلاقيًّا يحدده الإله[١].

ومع ظهور نظرية «داروين»- وقد كانت هذه النظرية من أكثر النظريات التي انتشرت في الأوساط العلمية وأحدثت دويًّا كبيرًا في قطاعات متنوعة من العالم - اعتبر البعض أنها ستقوم محل الدين في الجواب عن الأسئلة الرئيسة التي تدور حول خلق الكون، وبدايته، وغاية وجوده، ومصيره؛ ولذلك حازت قبولًا واسعًا لدى طوائف الملحدين[٢].

وعلى الرغم من سقوط هذه النظرية في بدايات القرن العشرين، إلا أنها ظلت عقيدة تشبث بها أصحاب الفكر الإلحادي، وكانت تكأة لأفكارهم في هذه المرحلة التاريخية.

ب ـ شبهات فلسفية:

يمكننا أن نؤصل للفكر الإلحادي بوجهه الفلسفي بالعودة إلى العصر اليوناني؛ حيث إن هذا العصر كانت البشرية فيه لا تزال تحبو ؛ فلا اكتشافات علمية متقدمة ولا

(١) انظر: رحلة عقل، د.عمرو شريف، ص ١٧.

(٢) انظر: أصل الأنواع.. نظرية النشوء والارتقاء، تشارلز داروين، ترجمة: إسماعيل مظهر، المجلس الأعلى للثقافة ـ مصر، ١٩٥٩م، المقدمة، المذاهب القديمة للنشوء، ص١٢ .

معارف وجودية كبيرة، غير أن بعض فلاسفة اليونان ساقوا البشرية إلى الإلحاد بفرضيات جدلية حول عالم ما وراء الطبيعة؛ حيث قام أصحاب الاتجاه الفلسفي على تقديم أدلة نفي فلسفية فكرية لإبطال بعض المفاهيم، كإبطال مبدأ السببية، ونقض مبدأ الخلق، وطرح مشكلة الخير والشـر، واستحالة الوحي، ونقد الكتب المقدسة للأديان، واستحالة الحياة بعد الموت (مسألة الخلود) أو إبطال مفهومها الديني بإثبات نظائر مغايرة لها كالاستنساخ أو العودة للحياة، وهذا النوع من المعالجات هو الإلحاد القائم على التدليل على نفي وجود الإله، ومن ثم هو الأكثر حضورًا في مجال المعركة الفكرية بين الإيمان والإلحاد[1].

وبهذه الجدليات الفلسفية يمكن أن نستحضر ما يدعيه البعض من أسباب ترك الاعتقاد بأصل وجود إله، وأنها ترجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

السبب الأول: دعوى انهدام أدلة الوجود؛ التي تتمثل في الاعتقاد وهمًا أو تضليلًا بانهدام كل الأدلة التي أقيمت

(١) راجع: فجر الفلسـفة اليونانية قبل سقراط، ص ٥، والأسس اللاعقلية للإلحاد، عمرو علي بسيوني، إصدار مجلة براهين لدراسة الإلحاد، ص ٢، والإسلام والعقل، ص ٨٨ وما بعدها.

على أصل وجود إله، استنادًا إلى قول بعضهم - ومنهم «ديفيد هيوم، وإيمانويل كانط، وبرتراند راسل» - بعدم وجود منهج معرفي يصلح لإثبات مسألة كهذه، وقول آخرين بعدم صلاحية المبادئ التي تستعملها هذه الأدلة لإثبات ما هو أوسع من حدود التجربة والحس، أو أن البحوث التجريبية في فيزياء الكم قد أثبتت عدم وجود مبادئ مطلقة الصدق، بما فيها تلك التي تستعمل في أدلة إثبات الوجود الإلهي[1].

السبب الثاني: مشكلة الشر؛ ويتمثل هذا السبب في دعوى إقامة الدليل على امتناع كون العالم من صنع إله، من ثم لا إله لهذا العالم، وذلك باعتبار أن كون هذا العالم معلولًا ومصنوعًا من قِبل إله أوجده ونظمه، يقتضي أن يكون عالمًا خاليًا من أي نوع من أنواع النقص والفساد؛ لأن المفروض أن الإله لو كان موجودًا فسيكون كاملًا لا حد لكماله وعلمه وقدرته وخيره، فكيف يكون العالم المبتلى بالنقص والفساد والشر ـ الذي هو عالمنا ـ مصنع إله كامل

(١) راجع: كهنة الإلحاد الجديد، د. هيثم طلعت على سرور، تقديم: د. عبد الله بن سعيد الشهري، ص٤٤، وما بعدها.

لا حد لكماله وعلمه وقدرته وخيره؟ ونتيجة لهذا الوهم الخاطئ يدعون أنه ليس لعالمنا إله، أي ليس لنا إله[1].

السبب الثالث: دعوى امتناع تصور فكرة الإله ؛ وهذا السبب يتمثل في دعوى إقامة الدليل على امتناع نفس فكرة الإله، من خلال بيان أن الإله المدعى وجوده يجب أن يكون بريئًا من جميع صفات العالم الذي نعيش فيه؛ لأن هذه الصفات نفسها يتم استخدامها لإثبات حاجة العالم لإله؛ فهذا يعني أن الإله المزعوم وجوده لا يمكن أن يكون جسمًا، ولا في مكان، ولا في زمان، ولا شكل له، ولكن فكرة الإله الخالي من كل هذه الصفات، ليس سوى لفظ فارغ من أي معنى، لأننا مهما سعينا لتصور معنى ما واستحضاره في ذهننا فإننا سنجده قهرًا موصوفًا بصفة من تلك الصفات، فكيف يمكن أن نتصور شيئًا لا هو بجسم، ولا هو ذو شكل، ولا هو في مكان، ولا هو في زمان، ففكرة الإله ليست بفكرة، وإنما هي مجرد اسم يطلق على ما هو فاقد لكل الصفات، وفقد هذه الصفات يلغي معناه[2].

---

(١) راجع: كهنة الإلحاد الجديد، د.هيثم طلعت على سرور، ص٤٥.

(٢) انظر: الإلحاد وأسبابه ومفاتيح العلاج، محمد ناصر، ط.مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، العراق، ص ٧٥، والأدلة المادية على وجود الله، الشيخ/ محمد متولى الشعراوى.

(٢) أسباب حضارية:

الإشكالية الحضارية مدارها على التطور الحضاري الغربي الحديث، حيث رسخ في الوعي الغربي أن الدين السائد عندهم كما اعتقدوه وفهموه حاجز أمام جميع أشكال التقدم العلمي والتطور الحضاري، وأن التخلص من هذا الدين وإنكار وجود إله أو قوة غيبية تدبر وتدير هذا العالم هو الوسيلة المثلى لمواصلة الحضارة الغربية الحديثة رحلتها في مسار تحرير الإنسان وتحقيق رفاهيته جهلًا وافتراءً، ولا شك أن هذه الفكرة مبنية على غلط شائع في مجال نقد الأفكار قصدًا أو جهلًا، وهي الخلط بين كمال المبادئ والنقص الحاصل في تطبيقها، وتحميل الفكرة المساوئ التي يرتكبها من ينتسب إليها.

(٣) أسباب اقتصادية:

من العوامل التي ساعدت على انتشار موجة الإلحاد، ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية، وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس، فعلى الرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي، ويستهدف معالجة المظالم

الرأسمالية الفردية والسيطرة على مجتمع اشتراكي؛ إلا أن أتباع هذا المذهب الاقتصادي أعطوه أبعادًا أخرى غير اقتصادية، فزعموا أن الناس عليهم أن يحيوا هذه الحياة بكل منافعها المادية؛ حيث لا بعث ولا حساب ولا إله، وأن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليلبسوا على الفقراء.

(٤) أسباب اجتماعية:

إن الظروف الاجتماعية المعوجة التي عانتها أوروبا من انتشار المظالم الهائلة، وظهور الطبقية المتفاوتة وما خلفته من مساوئ، وعدم القدرة على تحقيق قيمة العدل في المجتمع، كل ذلك كان سببًا في تغذية الفكر الإلحادي الذي دفع العقول لرفض التقيد بفكرة وجود إله يرعى مصالح الناس.

(٥) أسباب نفسية:

حول السيكولوجية النفسية للأفراد والجماعات القابلة للإلحاد وأسبابها، دارت دراسة مستفيضة من عالم النفس الأمريكي «بول فيتز »، فقد أصدر كتابًا بعنوان «علم نفس

الإلحاد» ليفتح بابًا لدراسة الأسباب النفسية للإلحاد، وفي هذه الدراسة يؤكد أن العائق وراء الإيمان بوجود إله، ومن ثم الكفر به والانصياع للفكر الإلحادي، في كثير من الأحيان يرجع إلى أسباب ذاتية؛ نفسية أو شخصية أو اجتماعية، فيقول فيتز في كتابه: إن يقيني أن وراء كل ملحد، وما يقدمه من أسباب علمية أو منطقية لإلحاده العديد من العوامل النفسية والشخصية[1].

ثانيًا: أسباب ظهور الإلحاد في العالم العربي:

(١) أسباب معرفية:

إن النهضة العلمية التي بدأت في الغرب وانتقلت للشرق انتقل معها الفكر المادي بوصفه جزءًا من الفكر الغربي، وتسببت بسريان موجة من الإلحاد بسبب اعتناق بعض الذين تأثروا بهذا الفكر المادي الغربي ودافعوا عنه، وبدا ذلك في بعض الذين تعلموا على أيدي أساتذة غربيين[2].

---

(١) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، د.عمرو شريف، مراجعة: د.أحمد عكاشة، ط. نيو لوك للطبع والنشر، ص ١١٥.

(٢) انظر: جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادى، محمود عبدالحكيم عثمان، مكتبة المعارف الرياض، ص ٣٨ - ٤٠.

بالإضافة إلى أن الانبهار بالعلوم الطبيعية التجريبية أدى إلى المغالاة الشديدة في الاعتداد بالمنهج التجريبي وإنكار ما دونه من مناهج معرفية، مما أوصل البعض إلى إنكار كل حقيقة لا تخضع لهذا المنهج[1].

كما أن بعض المذاهب الفكرية التي تسربت إلى العالم العربي كالوجودية كانت سببًا في الإلحاد؛ حيث إنه مذهب يدعو كل إنسان لأن يحقق حيثيات وجوده حسبما يرى وتبعًا لما يريد، غير متقيد بعرف ولا عادات ولا دين[2].

(٢) أسباب حضارية:

لقد تأثرت المجتمعات العربية بملامح الحضارة الغربية الحديثة، وبهرتها الانطلاقة العملاقة إلى آفاق متقدمة من الرفاهية الفكرية والمادية، فتملكتها حالة التبعية للغرب، واستأثرت بها النظرة الشمولية للحضارة، فهيئ لها واستقر في أذهان بعض أبناء العالم العربي أن التقدم الحضاري الغربي سببه أن الغربيين فصلوا الدين عن العلم، بل

(١) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب، الحقيقة والأسباب والعلاج، د. ضياء دويدار، بحث منشور على شبكة الإنترنت، ص٣١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٣.

أنكروا الدين وتمردوا عليه؛ فاستقامت الحياة، وحصدوا التقدم الصناعى والمعرفي والحضاري.

يضاف إلى ذلك انفتاح العالم الفضائي بشقيه - القنوات الفضائية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي- وما يُبَثُّ فيهما من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منهما بنصيبها من النشء والشباب، ويسهل انتقال الأفكار بسهولة ويسر، مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لآثارها[1].

(٣) أسباب نفسية:

تعد العوامل النفسية والشخصية كثيرة، ومنها:

١ - الإفراط في تقدير الذات، ومحاولة الشخص إشباع رغبته بالشعور بأنه الأفضل، وأنه فوق الناس في عقله وذكائه وعبقريته، وأن الناس دونه، فيجد في الإلحاد وسيلة لإشباع هذه الرغبة وهمًا وجهلًا، محاولًا إقناع نفسه بأن الإلحاد قمة العبقرية والنخبوية.

٢ - الإفراط في الحرية الفردية إلى درجة التكبر، ورفض مبدأ الأمر والنهي، والرغبة في التحلل من التكاليف

(١) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب، الحقيقة والأسباب والعلاج، ص٣٤ وما بعدها.

الدينية والقيود الاجتماعية، والانسياق وراء الهوى واللامبالاة والاضطرابات الشخصية، والأمراض النفسية والوسواس القهري، وغيرها.

٣ - التطرف أيًّا كان نوعه؛ دينيًّا أو اجتماعيًّا أو غير ذلك، والإفراط في جلد الذات، والتضييق على النفس، والانغلاق العقلي، بعيدًا عن الشرع والعقل والفطرة، مما يوقع النفس في النفرة، فيأتي الإلحاد كردة فعل ساخطة، ومن فقد بوصلة الاعتدال عصفت به الرياح إلى أي اتجاه، وفي الحديث: (هَلَكَ المتَنَطِّعُونَ)[١]؛ أي: المتشددون.

(٤) أسباب مجتمعية:

١ - إشكالية الأمية - ونعني أمية المعرفة والوعي لا أمية القراءة والكتابة - التي تؤدي بأصحابها إلى أفق ضيق، لا يستطيعون تفنيد معطيات الفكر المنحرف، فيقعون فريسة لهذا الفكر الإلحادي المنحرف بثقافتهم السطحية الضحلة.

٢ - الأمية الدينية التي تعد خطرًا كبيرًا، وخاصة في ظل مناخ العولمة والانفتاح الثقافي على الآخر، والتواصل

(١) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الحلبي، مصر، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم ٢٦٧٠.

السريع عبر وسائل الاتصالات السريعة مع كثرة المواقع المشبوهة، وكثرة ما يبث من شبهات عبر مواقع تواصل عالمية، تساهلت حتى مع الشتم البذيء والازدراء الفاحش الذي يصدر من المتهجمين على الذات العلية، وعلى ذوات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وكما أن الإلحاد قد يصادف قلبًا خاويًا فيتمكن منه، فقد يصادف أيضا عقلًا خاويًا فيفتك به، وقد يقع الشاب بسبب ضعف المناعة العلمية ضحية لأفكار تمهد للإلحاد، أو تقود إليه، أو توقع فيه[1].

٣ ـ التعرض للشبهات دون تحصيل الحد الأدنى من المناعة الفكرية، وذلك بالدخول في نقاشات غير متكافئة مع الملاحدة ومنتقدى الأديان، مع الاستهانة بقدرات الخصم على التشكيك والهدم، ويكرّس هذا الأمرَ لدى كثير من الشباب مزاجُ الانطلاق والتحرر، ورفض «الوصاية» من العلماء وأهل الخبرة.

٤ ـ تضخيم نقائص المتدينين وتحميل تبعاتها للدين، سواء تلك المتعلقة بالنقص البشرى، كالعجز والظلم

(١) انظر: الإلحاد المعاصر، د. خالد بن محمد الشهرى، ص ٦٥ وما بعدها.

والجهل والشهوة والكسل واتباع الهوى ونحو ذلك، أو المتعلقة بالخلل في تطبيق الدين بفهم منحرف أو تأويل بعيد لنصوص الوحى.

٥ ـ رغبة كثير من الشباب في التمرد على العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات العربية، والتي يراها مكبلةً له ومتضادة مع مفهومه للحرية الشخصية.

٦ ـ التشدد والجمود الديني الذي يؤدي بدوره إلى النفور من الدين والتدين، فالغالبية العظمى ممن ألحدوا كان إلحادهم ردة فعل نفسية نتيجة التشدد الديني أو الاجتماعي أو الأسري، والتطرف الفكري.

٧ ـ وجود أطروحات عقلية أو تساؤلات بديهية في عقول النشء، تدور حول المُوجِد والموجود، تبحث عن إجابة، تقابل بردود فعل تكبتها وتقمعها، فكثيرٌ ممن ألحدوا كان إلحادهم نتيجة لتساؤلات أربكت عقولهم فبحثوا عن إجابات لها ولم يجدوا شيئًا [١].

---

(١) انظر: الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب، الحقيقة والأسباب والعلاج، د.ضياء دويدار، ص٣٨ وما بعدها، وراجع: النبأ العظيم.. نظرات جديدة في القرآن، د.عبد الله دراز، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

(٥) الجماعات المتطرفة:

إن مسالك الغلو والتكفير والتفجير والإرهاب واستباحة دماء الآمنين وترويعهم من قِبل جماعات التطرف أدى عند البعض إلى تطرف مضاد، وصل عند البعض إلى الكفر بالأديان كلها.

❊ ❊ ❊

خُطورة الإلحاد على الفرد والأسرة والمجتمع

الإلحاد ظاهرة خطيرة، وتبدو خطورتها على الفرد، ثم تنعكس على الأسرة ثم المجتمع؛ لأن الفرد - كما هو مقرر - نواة الأسرة، والأسرة خلية المجتمع.

وقد أجمعت الشرائع السماوية على ما فيه خير البشرية، وما يؤدي إلى سلامة النفس والمال والعرض، وقيم العدل، والمساواة، والصدق، والأمانة، والحلم، وصلاح البلاد والعباد، وغيرها، وهي ما يعبر عنها بالمقاصد الشرعية، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية، ولم تنسخ في أي شريعة منها.

أما الإلحاد فله مفاسد وشرور لا تُحصى ولا تعد على الفرد، والمجتمع والأمم، والشعوب، منها: اختلال القيم، وانتشار الجريمة، وتفكك الأسرة ومن

ثَـمَّ المجتمـع، والخـواء والاضـطراب النفسي، وتفـشي ظـواهر خـطيرة كالانتحـار، والشـذوذ، والاكتئـاب النفـسي.

كـما أن السـير في هـذا الـدرب مدمـر لصاحبـه، مهلك لـه في دنيـاه وآخرتـه، يقـول الحـق ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1]، ويقـول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[2].

وهـذا يؤكد أن الـدين قـوام الحيـاة الطبيعيـة وعمادها، والحيـاة بـلا ديـن حياة بـلا قيم، بـلا ضوابط، بـلا أخلاق، والديـن هـو العمـود الفقـري لضبـط مسـار البشريـة عـلى الطريـق القويـم، ولا يمكن للعقوبـات الدنيوية والأعراف والتقاليـد وحدهـا - مهـما كانـت دقتهـا - أن تضبط حركة

(١) [سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٧].

(٢) [سورة محمد، الآية ٨].

الإنسان في الكون، ما لم يكن لهذا الإنسان ارتباط وثيق بخالقه[1].

أولًا : خطورة الإلحاد على الفرد:

تظهر خطورة الإلحاد على الفرد ظهورًا جليًّا إذا لم ينتهج منهج الله القويم وذلك لأن الإلحاد يضيع المقاصد الشرعية المراعاة فى كل ملة، التي تجب مراعاتها وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، وكذا حفظ الوطن[2].

ولبيان أثر الإلحاد على كل مقصد من هذه المقاصد وانعكاس ذلك على الفرد نتناول كل مقصد فيما يلي:

مقصد حفظ الدين:

الدين هو القواعد الإلهية التي بعث الله بها الرسل عليهم السلام؛ لترشد الناس إلى الحق في الاعتقاد، وإلى الخير في السلوك والمعاملة، وبدخولهم تحت تلك

(١) بناء الوعى، أ.د. محمد مختار جمعة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٣٨-٤١.
(٢) الكليات الست .. رؤية عصرية، أ.د.محمد مختار جمعة، ط وزارة الأوقاف، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص ١٢،١٣.

القواعد والخضوع لها أمرًا ونهيًا تحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة[1]، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2].

والحقيقة أن الملحدين لا يحركهم سوى الجهل أو الهوى، فبالجهل ينكرون بديهات العقل وهو أن لكل حادث محدث، وبالهوى تحركهم الشهوات، فيريدون التخلص من قيود الدين وأحكامه، حتى يرتعوا ويأكلوا ويتمتعوا، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3].

ولا شك أن الإلحاد بمعنييه وهو إنكار وجود الله ﷻ، أو إنكار الدين، يأتي على هذا المقصد من أصله.

مقصد حفظ النفس:

لقد خلق الله الإنسان وألبسه ثوب الكرامة، وفضله على كثير ممن خلق بالعقل، والعلم، والبيان،

---

(١) المقاصد العامة، يوسف العالم، ص ٢٠٧، ٢٠٨، والدين العالمي، للشيخ/ عطية صقر، ص ١٠.
(٢) [سورة طه، الآيتان ١٢٣، ١٢٤]
(٣) [سورة محمد، الآية ١٢].

والنطـق، والشـكل، والصـورة الحسـنة، والهيئـة الشريفة، والقامـة المعتدلة، واكتسـاب العلوم بالاسـتدلال والفكر، واقتنـاص الأخـلاق الفاضلة، وشـمله بالرعايـة والعناية وهـو نطفـة في داخل الرحـم وفي جميع أطـواره إلى أن صار خلقًـا آخرَ فتبـارك الله أحسـن الخالقـين[1].

وحفظ النفوس هو حفظ الأرواح من التلف أفرادًا وجماعات؛ لأن العالم (المجتمع) مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم.

والغاية العظمى التي ترمي إليها رسالة الإسلام من حفظ النفس تزكية الأنفس وتطهيرها[2]، ولكن الإلحاد يأتي على هذه النفس بالهلاك المادي بالانتحار، أو الهلاك المعنوي بأن يعيش كالبهائم - بل أضل - بلا هدف وبلا غاية!

«إن منهج الملحدين لم يُنتج لهم سكينة ولا طمأنينة ولا سعادة ؛ يـدل عـلى ذلك الإحصاءات العالمية التي تتحدث

(١) المقاصد العامة للشـــريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية، ص ٢٧١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١/ ٨١.

عـن نسبة طـردية بين الإلحـاد والانتحـار»[1]، فالإلحـاد قد يؤدي إلى موت النفس ماديًّا بالانتحار، كما أنه موت للنفس معنويًّا، ففي حـين يقصد الإسلام إلى تزكية النفس فإن الإلحاد يُدنِّس تلك النفس ويغمسها عن آخرها في الذنوب والمعاصي؛ فتتخلى عن الفضائل والفطرة السوية، وتمتلئ بالرذائل!.

مقصد حفظ النسل:

لا خـلاف في أن حفـظ النسـل وحفظ النسـب وحفظ العـرض مـن المقاصـد الضروريـة، وإن كان حفظ النسـل ضروريًّـا فيـما يخـص الإنسـانية، فـإن حفـظ النسـب ضروري فيـما يخـص الأسرة، وحفـظ العـرض ضروري فيـما يخـص الفـرد، وبـين الثلاثـة ارتبـاط وثيـق، فحفـظ العـرض يـؤدي إلى حفـظ النسـب، وحفظ النسـب يؤدي إلى حفـظ النسـل[2].

---

(١) الإلحاد وسـائله وخطره وسُـبل مواجهتـه، د.صالح بن عبدالعزيز بن عثمان سـندى، دار اللؤلؤة، بيروت- لبنان، ط الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٣٩.

(٢) الكليات الست.. رؤية عصرية، أ.د. محمد مختار جمعة، ص٨٦.

ولا شك أن الآثار السيئة للإلحاد تضيع هذا المقصد؛ حيث تنهار الأخلاق والقيم، وتنهدم مشاعر القربى والرحم، وتتفكك الأسر وتنحلّ، وبانحلالها ينهدم النسل والنسب والعرض.

مقصد حفظ العقل:

لقد فضل الله الإنسان بالعقل وميزه به عن سائر الخلق، من أجل التفكر والتأمل والتدبر والتمييز، ونعى على من أهملوا هذه النعم ولم يوفوها حقها، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[3]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4]، وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه، ولكن الإلحاد بأساليبه لا يحترم العقل؛ لأن أساليب الملاحدة ومناهجهم في التحرير والمناقشة تعتمد أسلوب

(١) [سورة يس، الآية ٦٨].
(٢) [سورة الأنعام، الآية٥٠].
(٣) [سورة الأنعام، الآية ٨٠].
(٤) [سورة محمد، الآية ٢٤].

المغالطة الجدلية والتلبيس على المحاور، وهم في هذا لا يحترمون المنهج العلمي السليم في المناظرة[1].

إن المنهج الإلحادي منهج متناقض يكذِّب بالشيء ويصدق نظيره، فهو على سبيل المثال يكذِّب أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من طين ثم تناسل البشر بعده؛ لأنه - عنده - غيب، وفي مقابل هذا يصدِّق بأن أصل الإنسان خلية وجدت من قبل ملايين السنين، ثم تطورت من خلال الانتخاب الطبيعي، مع أن هذا غيب بالنسبة له أيضًا! لكنه مقبول عنده؛ لأن مصدره إلحادي، وذاك مردود؛ لأن مصدره وحي! فالمنهج الإلحادي إذن منهج متناقض، ليس له حاكم إلا الهوى[2]، فالملحدون هم أعداء العقل وبدهياته، وإن زعموا أنهم عقلانيون.

ولذلك تجد «أنتوني فلو» الذي يعتبر أشرس ملحد في النصف الثاني من القرن العشرين يعود بعد رحلة طويلة إلى الإيمان بوجود إله، وذلك بعد أن جاوز الثمانين من عمره،

(١) الإلحاد وسائله وخطره، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٥.

وأصدر عام ٢٠٠٧م كتابًا يشرح فيه الدوافع وراء هذا التحول، والتي تتلخص فيما أظهرته الاكتشافات العلمية الحديثة من تعقيد مبهر في بنية ونشأة الكون والحياة[١]، تحتم بوجود إله خالق!

مقصد حفظ المال:

من الحقائق التي لا يشك فيها أحد أن المال ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها للإنسان في قوته ولباسه ومسكنه، فبالمال يُشبع حاجاته الضرورية والحاجية والتحسينية.

ولكن الإلحاد كما يفسد ويدمر ما سبق من مقاصد يدمر المال أيضًا، وذلك لأن الإلحاد لا يربي الضمير ولا يخوِّف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض؛ فينشأ الملحد غليظ القلب عديم الإحساس، قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة؛ لأنه لا يخاف ربًّا ولا يرجو حسابًا،

(١) رحلة عقل، ص ٩، ١٠.

فالإلحاد يضاد مقصد الشرع في حفظ المال، ففي حين يدعو الإسلام لجمع المال من حلال، وإنفاقه في حلال، والحفاظ عليه من الفساد بشتى صوره، نجد الإلحاد يدعو - أو يؤدي - إلى عكس ذلك.

مقصد حفظ الوطن:

مما لا شك فيه أن حب الوطن والحفاظ عليه فطرة إنسانية أكدها الشرع الحنيف[1]؛ حيث إن مصالح الأوطان من صميم مقاصد الأديان لا تنفك عنها [2]، فقد نشأنا وتربينا وتعلمنا أن حماية الوطن لا تخرج عن أحد أمرين: إما أن تكون فرض عين، وإما أن تكون فرض كفاية.

أما في حالة تعرض الأوطان لأي مخاطر فإن حماية الوطن من هذه المخاطر تكون فرض عين، كل في حدود ما يكلف به، أو يستطيع فعله، أو يتوجب عليه فعله، في ذود الخطر عنها[3].

---

(١) الكليات الست.. رؤية عصرية، أ.د. محمد مختار جمعة، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢.

(٣) بناء الوعي، أ.د. محمد مختار جمعة، طبعة وزارة الأوقاف، ص٥٣.

و لا شك أن الإلحـــاد يشكـل خـــطرًا داهمًا على الـفرد والمجتمـع والوطـن والأمـة العربيـة كلهـا، فهـو يتهـدد النسـيج الاجتماعـي والفكـري مـن جهـة، كـما أنـه يتهدد أمنهـا القومـي مـن جهـة أخـرى، فتحـت مسـمى حريـة المعتقـد يهـدف أعـداء الأمـة إلى تمزيـق كيانهـا وضرب اسـتقرارها بـكل السـبل والأسـاليب الشـيطانية في جميـع الجوانـب قيـمًا وأخلاقًـا، بالإرهـاب المصنـوع، والإلحـاد الموجـه أو الممـول، وإثـارة النعـرات العرقيـة أو القبلية أو الطائفيـة، فصـار الإلحـاد موجهًا ومسيسًـا وممـولًا، قصد الإسـهام في إحـداث حـالات الفـوضى والإربـاك.

فقـد صـارت مخططـات الأعـداء تنـال كل جوانـب حياتنـا ومقوماتهـا، ممـا يتطلـب التوعيـة بمخاطـر كل الظواهـر السـلبية؛ إذ إن هـذه المخططـات تهـدف مـن خـلال الإلحـاد المسـيس أو الموجـه الممـول إلى نـزع القيم الإيجابيـة مـن نفـس الملحـد، وبـما يفرغـه مـن الرقابـة الذاتيـة الأصيلـة، رقابـة الضمـير، ومراقبة خالـق الكون والحيـاة[1].

(١) بناء الوعى، ص٣٦- ٣٨.

وهـو مـا يجعـل الوطـن مسـتباحًا مهـددًا لا معنـى لـه عنـد هـؤلاء الملحديـن، قـد خلعـوا عباءتـه إلا وفـق مـا تنـزع إليـه شـهواتهم، فيضيعـون ويضيعـون مـن حولهم.

إن الإلحاد خطر على مقاصد الشريعة التي تُلخص وتُجمع في جلب المصالح للإنسان ودرء المفاسد عنه، فهو يدمر تلك المقاصد ويأتي للإنسان بأضدادها، وهذا الخطر الذي ينال الفرد في أمهات مصالحه سينعكس على الأسرة والمجتمع؛ لأن الفرد نواة الأسـرة، وهي خلية المجتمع.

وإذا كان الإلحاديون يدعون العقلانية والغائية؛ فإن أعظم ما يُواجهون به في خطابنا الديني هو مقاصد الشريعة عامها وخاصها وجزئياتها جميعًا.

ثانيًا: خطورة الإلحاد على الأسرة والمجتمع:

لم تكـن خطـورة الإلحـاد مقصـورة عـلى الفـرد فقـط؛ بـل انسـحبت عـلى الأسر والمجتمعـات؛ لأن المجتمعات الملحـدة محرومـة مـن هدايـة الله تعالى التـي أنزل بهـا كتبه وأرسـل بهـا رسـله، المتضمنـة للرحمـة والعـدل والحكمة.

وكما نعلم أن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، فإذا فسدت فسدت الروابط الأسرية والاجتماعية معًا؛ حيث إنه لا رادع في المجتمعات الملحدة، فلا ضمير يؤنب، ولا رب يُخشى، ولا يوم آخر يتقى.

حيث إن الفكر المادي (الإلحادي) لا يؤمن بالآخرة، ولا بالجزاء، و يقوم على النفعية المادية، إذ ينظر إلى خدمة الآخرين على أنها سخافة وغباء ما دامت لا تحقق نفعًا قريبًا.

وعلى الرغم من كثرة المشكلات التي يعاني منها العالم المعاصر وتعددها فإن أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثرًا في ظهور الفساد والاضطراب والقلق هي مشكلة الإلحاد؛ حيث إن للإلحاد خطرًا عظيمًا في انحراف النفس عن الفطرة السليمة، وعقيدة التوحيد النقية، فإذا انتكست فطرة الإنسان، وخلع أثواب الإيمان، لم يكن له ساتر يقيه الشرور والفتن، والإلحاد يصيب العقل بالضعف، وهذا الضعف يزداد بمؤثرات وعوامل تكلم عنها الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه

الإسلام والعقل، فقال: إن اختلاف العقول في الأفراد يتضاعف بالمؤثرات الخارجية: فالبيئة، والوسط، والثقافة، والأصدقاء، والجو، والمصالح.. كل ذلك وغيره يؤثر - إلى ما شاء الله - في العقول، وفي النتاج الذي تنتجه، ومع توالى الزمن تكثر المذاهب، وتتعدد الفرق»[1].

والواقع يشهد أن الملاحدة ناشطون في نشر باطلهم، لا سيما في محيط أبناء المسلمين؛ لأنه إذا كثر الملاحدة وعلا صوتهم؛ أصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع، تستطيع أن تؤثر في الواقع بحسب أهوائها، وغالب الملاحدة من ذوى الإلحاد النفعي المادي؛ فلا يرومون إلا الشهوات[2]، وقد تعددت وسائلهم في سبيل ذلك، وإن كانت جميعها تتخذ مسلكين: مسلك الشبهات، ومسلك الشهوات؛ حيث يفتح المرء لنفسه أبواب الفتن والشبهات، ويطلق لفكره العنان ليسبح في سيئ التصورات والخيالات.

---

(١) الإسلام والعقل، د.عبد الحليم محمود، ص ٦٥، وما بعدها.

(٢) الإلحاد وسائله وخطره وسُبل مواجهته، د.صالح بن عبد العزيز سندي، ص٤٥.

أما عن الوسائل التي ينفذ الملاحدة من خلالها إلى شباب المسلمين - ذكورًا وإناثًا - فكثيرة، منها: الكتب الإلحادية - التي تباع أو التي تنشر عن طريق الإنترنت - ولا يلزم أن تكون داعية إلى الإلحاد بصورة مباشرة؛ فيمكن أن تكون صريحة، ويمكن أن تطرح ما يسمى بثقافة الشك، أو تأصيلات تؤدي إلى إضعاف الثقة بالنصوص، أو تبغيض الدين في نفس القارئ، وتصويره في صورة القيود والأغلال؛ وبهذا يلقى الملاحدة فريستهم إلى ساحل الإلحاد، إنهم يصلون إلى بغيتهم عن طريق حلقات لا حلقة واحدة.

ومنها كذلك: القنوات الفضائية؛ من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطنة، عن طريق برامج أو حوارات أو مناظرات أو أفلام - للكبار أو الصغار - وما إلى ذلك.

بل يمكن أن يكون ذلك من خلال: البرامج التي تدعي العلمية والوثائقية، وتؤصل للنظريات الداعمة للإلحاد في فهمهم، كنظرية داروين مثلًا.

ومنهـا أيضًـا: اللقـاءات المبـاشرة مـع الشـباب؛ عـن طريق جلسـات خاصـة، أو ملتقيات عامـة، أو صالونات ثقافيـة، تطـرح فيها الأفـكار والشـبهات.

وتبقـى وسيـلتان هما الأخـطر في غـزو عقـول الشباب والناشئة:

الأولى: الشبكة العالمية «الإنترنت»:

فقد أصبحت فضاءً واسعًا يستحيل متابعته ومراقبته، وتوظيفها في نشر الإلحاد له وسائل كثيرة، منها:

١ـ شبكات التواصل الاجتماعي: والواقع يؤكد أنها اليوم موجه ثقافي بالغ التأثير؛ فمن الناس من يجلس ساعات طوال أمامها يوميًّا؛ فهي جاذبة إلى حد بعيد.

والملاحدة ينفذون من خلال هذا المنفذ بتخطيط ونشاط وتركيز، مع انتهاج الأسلوب الصريح تارة، والرمزي تارة أخرى، فينقلون نظرياتهم السقيمة مغلفة بزخرف القول، أو يمجدون أساطين الإلحاد ونتاجهم الفكرى، أو يبثون شبهًا عابرةً ماكرةً، أو يضعفون الثقة بأهل العلم، أو يؤصلون الجُمل والمفاهيم الممهدة لفكرهم.

٢ـ مواقع تبادل ونشر المقاطع المرئية - وأشهرها «يوتيوب» - ولعل مرتاديها أكثر المستخدمين للشبكة.

فإن الملاحدة يبثون المقاطع التي تؤصل للإلحاد أو تقرب منه، ومن مكرهم أنهم يجعلون لها عناوين أو كلمات دلالية مشتهرة يكثر بحث الشباب عنها، نحو: «مباراة»، «أهداف»، أو أسماء ممثلين وفنانين ولاعبين وأفلام ومسلسلات؛ لعلمهم أنهم يتتبعون هذا النوع من المقاطع، فإذا لاحت أمامهم تلك المرئيات المسمومة دفعهم حب الاستطلاع إلى مشاهدتها؛ فتعتل بها قلوبهم[1].

٣ـ المنتديات العامة، فالملاحدة يمدون شباكهم إليها - لاسيما المنتديات ذات الحضور الكبير ببث الشبه، واقتناص فريستهم من خلال «التفرس»، ثم «التأنيس»، ثم «التشكيك»، ثم «التأسيس».

فإذا وجدوا في المشاركين - من الذكور أو الإناث - من يتوسمون فيه سهولة الانقياد لهم؛ فإنهم يحرصون

(١) انظر: الإلحاد وسائله وخطره وسُبل مواجهته، إعداد: د.صالح بن عبد العزيز سندي، ص٤٥، وما بعدها.

على أن يعلقوا بعبارات المدح على أي مشاركة له، من ثم تمتد بينه وبينهم جسور العـلاقة، ثم تتطور شيئًا فشيئًا؛ فمن التواصل عـبر الـبريد الخـاص، إلى المحادثة المباشرة «الشات»، ثم إلى إدخاله في مجموعة بريدية فتصله المقالات والكتب، ووصلات المـواقع والمـدونات - الـتي لا يلزم أن تكون صريحة المحتوى في ابتداء الأمـر - وهكذا يتطور الأمر حتى يصبح صيدًا سهلًا في أيديهم ؛ فيسقطونه في المستنقع الآسن.

٤ـ المدونات والمواقع الإلحادية، وهي السم الزعاف، وهو الذي يريدون أن يوصلوا الشباب إليه.

وبإطلالة سريعة على هذه المدونات والمواقع نرى أن من ولج دهاليزها من ضعيفي التأصيل الشرعي من الشباب أو الفتيات، وتعرض لما هو مبثوث فيها من شبه فلن يخرج كما دخل؛ لأن الملاحدة لديهم أساليب متفننة، وشبه وتلبيسات تنشب أظفارها في قلوب الأغرار؛ بالإقناع العاطفي الموهوم، والمغالطة العقلية، وإثارة الشبه الدقيقة، وقلب الحقائق، والاستهزاء، والقصص، والأشعار... إلخ.

الثانية: الروايات المنحرفة:

والمقصود بها: الروايات المنحرفة عقديًّا، فهي معول هدم للعقيدة ، وذلك أن الروايات قصص، والنفوس مجبولة على حب القصص، لاسيما وأن كثيرًا منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغرائز، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات والشباب، الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات[1].

آثار الإلحاد وعاقبته:

لنتخيل أمة مؤلفة من الملاحدة، أو كانت الأغلبية فيها للملاحدة، وننظر كيف تكون سيرتها، وماذا تكون عاقبتها في هذه الحياة، لا شك أنها تسير في غير طريق، وتكون عاقبتها السقوط إلى الحضيض؛ نعم للأخلاق أثر في تقليل الشيء، ولكنها لا تأتي بأثر عظيم في انتظام حال المجتمع إلا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة[2].

---

(١) الإلحاد وسائله وخطره وسُبل مواجهته، إعداد: د.صالح بن عبد العزيز سندي، ص٤٦، ٤٧.
(٢) الإلحاد وسائله وخطره، ص٤٨.

هـذا وقـد تـرك الإلحـاد آثـاره الواضحـة في سـلوك الملاحـدة أفرادًا وجماعـات؛ لأنه إذا مـات الإله فكل شيء مبـاح، وإذا كانت «عقيدة الإلحاد» هي إنـكار الغيب كله، وعـلى رأسـه الإلـه، فـما «شريعة الإلحـاد»؟ تتلخـص هذه الشريعـة في مقولـة «دوستويفسـكى» في رائعتـه «الإخـوة كارامـازوف»: «إذا مـات الإلـه، فكل شيء مبـاح»[1].

وقـد ظهـرت للإلحاد آثـار كثـيرة عـلى الأسرة والمجتمع، منها :

الصراع النفسى:

إن المجتمـع في ظـل الإلحـاد أصبـح شـبيهًا بمجتمـع الغابـة الـذي يحـاول كل حيـوان فيـه أن يفـترس الآخـر، وبهـذا يلجـأ الضعيـف إلى التخفـي والخـداع، ويلجـأ القوي إلى البطش والقسـوة والعنف، ويصبح الاسـتغلال والظلـم والنفـاق خلقًـا ودينًا ومنهجًـا جديدًا تسـير عليه المجتمعـات المنحلـة البعيـدة عـن منهـج الله ﷻ.

(١) علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، تقديم: أحمد عكاشة، فرست بوك للنشر، مصر، ص٢٢٤.

البؤس واللامبالاة:

لقد أدى الغلو في النسبية إلى أن يصبح الكثير من المفاهيم الإنسانية الفطرية الأساسية، مثل الإحساس بالسعادة أو البؤس، محل تساؤل بسبب اختفاء المعايير وفقدان المقدرة على الحكم[1].

وهذا الشخص الذي فقد المبادئ والقيم العامة لا يستطيع أن يبني حضارة أو يحافظ عليها، وأظهر دليل على ذلك هو تعامُل «ستالين» مع الدين وقت الحرب العالمية الثانية؛ حيث أيقن أن الدين هو الذي سيدفع المجتمع الروسي إلى الدفاع عن وطنه وأمته، فأعاد للدين احترامه وتقديره، والغريب أن الإحصائيات أظهرت أن أكثر من ٧٠٪ من المجتمع الروسي في هذا الوقت كان يحافظ على إيمانه في الخفاء؛ لأن الإلحاد لم يستطع أن يشبع حاجاته الروحية ولا المادية[2].

---

(١) علم نفس الإلحاد، ص٢٢٩، وما بعدها.

(٢) علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، ص٢٣٧.

الإباحية والشذوذ:

النموذج المادي الملحد يفرز السعار الجنسي، إلى درجة انتشار حوادث الاغتصاب على الرغم من أن مجال الإشباع الجنسى متاح أمامهم[1].

كما أن فوضى العلاقات الجنسية ظهرت آثارها في: قلة الزواج، وظهور الأمراض المعدية[2]، ولعل هذا البحث عن اللذة الجنسية الخالصة هو الذي يفسر انتشار الشذوذ الجنسي في المجتمعات الملحدة[3].

ويمكن تلخيص الثورة الجنسية في التجمعات الملحدة بأن الرغبات الجنسية قد انفلتت من عقالها، وبدلًا من أن تحرر الإنسان حيَّدتْه ثم استعْبَدته، فانتشرت الإباحية وتم «تطبيعها».

ليصبح الجنس منفصلًا عن مضمونه الاجتماعي والإنساني المركب بما يعزل الإنسان عن تراثه وماضيه، وعن وجوده

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٢) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق بامبا صالح، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ص٢٠٢.

(٣) علم نفس الإلحاد، د.عمرو شريف، ص٢٤٠.

الإنساني، فيعيش في الجسد يبحث واهمًا عن المتعة المباشرة التي لا علاقة لها بالخير أو بالشر.

ومن ضمن الشذوذ الزواج المثلي:

فلا شك أن العلاقة الجنسية المثلية والزواج المثلى قد أصبحا من الطقوس التي لا ينبغى الاعتراض عليها في المجتمع المادي والفكر الإلحادي، ويعتبر أنصار هذا التوجه أن الأمر حرية شخصية ويساوونه بالعلاقة بين الرجل والمرأة.

وقد أظهرت الإحصائيات أن نسبة من يقدمون على الانتحار بين المثليين تبلغ نسبتها أربعة عشر ضعفًا مقارنة بالطبيعيين، كما أظهرت الدراسات أن هؤلاء أكثر استخدامًا للمخدرات، وأكثر عرضة للمشكلات النفسية والسلوكية[1].

التفكك الأسرى:

إن المجتمعات البشرية لا تقوم بغير روابط تؤلف بين أفرادها ومكوناتها في سبيل الحفاظ على مصالحهم

(١) علم نفس الإلحاد، د.عمرو شريف، ص٢٤٥.

وضمان بقائهم، وما من شك في أن التدين عامل إيجابى في الألفة والانسجام والتآزر والتساند، فهو إيمان بمثل وقيم في الحياة، ليس من بينها المال والجاه وعرض الدنيا، بل في مقدمتها الإنسانية في المعاملة والتهذيب في السلوك وتقدير الإنسان لذاته[1].

وفي حين يعزز الدين العلاقة بين الزوجين ويعزز الأواصر الأسرية بين الآباء والأبناء، ويحث على صلة الرحم وعلى حق الجار، ورحمة الناس والتودد لهم، في إطار يعيد البشرية جمعاء إلى أصل واحد ومنشأ واحد وخالق واحد، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾[3].

---

(١) الإسلام في حياة المسلم، محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢٣٦.

(٢) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

(٣) [سورة محمد، الآيتان ٢٢، ٢٣].

نجد أن أعز ما دمره الإلحاد في البشـرية الأسرة؛ حيث أدى إلى إشاعة الفواحش وإطلاق الغرائز الجنسية خارج إطار الزوجين، فنشأ عن ذلك ضياع الأنساب، فلا يحصل المولود على رعاية ولا على أسرة ينتمى إليها لتحميه.

هذا إلى جانب أن الإنسان الملحد هو إنسان فرد مكتف بذاته، لا يطيق أي حدود أو قيود أو مسئولية، فهو يود تحقيق رغـباته في الـتو (الآن وهنا)، خاصة وأن المجتمع الإلحادي هو مجتمع نفعي مادي، لا يعرف المثاليات التي تساعده على تجاوز ذاته الضيقة[1].

الجريمة:

لم تكـن الجريمـة في المجتمعـات الملحـدة في معظمهـا بدافـع الحاجـة والفقـر، بـل بدافـع الغريـزة الإجراميـة التـي أطلقتهـا دعـاوى الحريـة والـرؤى المادية، والسـباق المحمـوم عـلى متع الحياة وشـهواتها[2]، والتي تهـدد النظام

(١) علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، ص٢٤٠.

(٢) حالات فـوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر١٩٩٧م.

العالمي في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخُلق القويم[1].

❊ ❊ ❊

(١) الخطر اليهودى.. بروتوكلات حكماء صهيون، محمد خليفة التنوسي، تقديم: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص١٠- ١٥ .

سُبل مواجهة الإلحاد

إن الشـريعة الإسلامية - كسائر الشرائع السماوية - استهدفت المحافظة على أمور: عرفت عند الأصوليين بالكليات، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال والوطن[1]؛ وإذا كان من كليات الشـريعة ومقاصدها السامية الحفاظ على العقل، وهذا المقصد لا يتأتى إلا من خلال حفظ هذا العقل من كل الضلالات التي قد تكون سببًا في ضياعه وهلاكه وبعده عن الفطرة السليمة التي جبل عليها؛ فنحن في حاجة إلى فقه صحيح لمقاصد الدين؛ ليكون عونًا لنا في إيجاد حلول عملية لهذه الظاهرة الخطيرة.

إذ إن الأسباب التي تؤدى إلى حدوث الظاهرة في مجتمع ما قد تختلف عنها في مجتمع آخر، وإذا اتحدت الأسباب فقد

(١) انظر: الكليات الست.. رؤية عصرية، أ.د.محمد مختار جمعة، طبعة وزارة الأوقاف، ص٦.

يختلف التقدير الكمي للأسباب من مجتمع لآخر، ومن حالة إلى أخرى، وهذا ما ينطبق على الإلحاد.

وعلى هذا فإذا تم تحديد سبب من أسباب الإلحاد فلا يعني ذلك أنه بانفراده يؤدي للإلحاد، فقد يحدث السبب منفردًا ولا تظهر الظاهرة؛ لأن مثل هذه الظاهرة تتداخل فيها العوامل الفكرية والنفسية والاجتماعية.

ولذلك فإن سُبل مواجهة الإلحاد لا بد أن تسير في طريقين متوازيين:

الأول: الطرق الوقائية.

الثاني: الطرق العلاجية.

الطرق الوقائية لمواجهة الإلحاد

إن إقامة المجتمع على أسس سليمة ومنضبطة - يراعى فيها أسس التنشئة السليمة للأطفال، وبناء كيان معرفي يراعي المتغيرات العالمية، ويحافظ على كيان المجتمع وثوابته، مع مراعاة قيمة الفرد في هذا المجتمع، وتحقيق العدالة والتكافل بين أفراده - يجعل المجتمع مستقيمًا على

الجادة، عصيًّا على الانحراف، محصنًا ضد أساليب الغزو الفكري، لذلك فإن من أهم السبل للوقاية من الإلحاد ما يلي:

أولًا: دور التنشئة السوية في مواجهة الإلحاد:

إن التنشئة الاجتماعية هي المسئولة عن زرع الولاء والانتماء في نفوس النشء، وتعليم الأطفال وتدريبهم على أداء الواجبات، ودمجهم في مجتمعهم، فالتنشئة الاجتماعية هي «عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد - عمومًا - طفلًا أو راشدًا عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية والاتجاهات النفسية، ويتعلم كيف يتصرف ويسلك بأسلوب اجتماعي توافق عليه وترتضيه الجماعة والمجتمع»[1].

وعلى المجتمع أن تتضافر جهوده لإتمام عملية التنشئة بصورة صحيحة، لما لها من دور رئيس في مواجهة الإلحاد والأفكار الهدَّامة باعتبارها من أهم العمليات تأثيرًا على

(١) تنشئة الطفل وسُبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، د. زكريا الشربيني، د. يسرية صادق، دار الفكر العربي، ص١٨.

الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية؛ حيث تعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، وبها تتشكل شخصياتهم وتتكامل.

وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال وسائط متعددة وهي: الأسرة، والمؤسسات التعليمية بداية من دُور الحضانة ورياض الأطفال حتى الجامعات، ثم النوادي، والجمعيات، والساحات الشعبية، ودُور العبادة، ومراكز الثقافة، ووسائل الإعلام[1].

وعلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الاهتمام بما يلي:

١ ـ غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة، كالدروس، والمحاضرات والخطب، والبرامج، والمناهج، وغير ذلك.

٢ ـ تعزيز ثقة الشباب بذاته وحضارته وقيمه في مواجهة الآخرين، والسبيل إلى ذلك بإعطاء نماذج تاريخية وعصرية لدول مسلمة استطاعت أن تسهم في الحضارة العالمية.

---

(١) تنشئة الطفل وسُبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص ٨٩ .

٣ – تقوية الشعور بالاعتزاز بالإيمان واليقين، وما يقدمه من طمأنينة للفرد والمجتمع.

٤ – التوعية بمدى خطورة الإلحاد على الأفراد؛ حيث إنه لا يمكن النظر لأفراد المجتمع بل البشرية جمعاء نظرة مساواة، إلا إذا اعتقد بوجود حقيقة للإنسان وراء المادة، وهي الروح، يستوى فيها البشر جميعًا، ولا يمكن لمذهب لا يؤمن إلا بالمادة أن ينظر للإنسان تلك النظرة.

٥ – التوعية بمدى خطورة الإلحاد على المجتمع، وما يؤدي إليه من آثار، كارتفاع نسب الجريمة، وانتشار الفوضى.

٦ – التوعية بمدى خطورة الإلحاد، وأنه لا يقيم حضارة، وذلك بالاعتماد على التاريخ في إثبات أنه لم توجد حضارة امتد عمرها لقرون إلا وكانت قائمة على الإيمان.

٧ – أن يكون هناك جهود ثقافية تملأ الفراغ الثقافي لدى الشباب، وتعرفهم بأعلام الثقافة في مجتمعاتنا، ومنجزاتهم، ويكون ذلك تحصينًا لهم إذا انفتحوا على ثقافات أخرى بما فيها من صالح وطالح.

٨ – أن يعمل المجتمع على بناء منظومته القيمية الخاصة والحفاظ عليها، عن طريق تنشئة أفراده عليها وتوريثها جيلًا بعد جيلٍ، على أن تكون هذه المنظومة متكاملة متوازنة الأركان، تشكّل حائط صد ضد التيارات المنحرفة.

الأسرة ودورها في التنشئة:

إن أهم مرحلة في التنشئة هي مرحلة الطفولة، فإذا أهمل الطفل في بدء حياته، خرج في الأغلب عن السائد والمعروف في الجماعة، فاسد الأخلاق، مرتكبًا للأفعال الذميمة، منحرفًا وجانحًا عن السواء.

ولذا يقع الدور الرئيس في هذه المرحلة على عاتق الأسرة؛ حيث يعد دور الأسرة أهم وسائط التنشئة، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية،كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخرى.

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي أكبر التحديات التي تواجه الأسرة، ويؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الأفراد حياة تعسة فيها شقاء مستمر، إنهم يفتقدون القدرة على التكيف، ويعانون سوء التوافق، ويضعون عراقيل في

طريق غيرهم، وربما نتج الدمار في بعض الأحيان مثلما يحدث لبعض المجتمعات؛ بل إن الحروب كما يشير البعض ما هي إلا نتيجة الفشل الذريع في عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات.

وبسبب الإخفاق في تنشئة بعض الأفراد نجدهم ينحرفون إلى إدمان الكحول أو إدمان المخدرات، وربما سقطوا في التطرف أو الجنسية المثلية أو اندرجوا تحت وطأة المرض النفسي[1]، أو الإلحاد، وهناك مجتمعات رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي إلا أن انتشار الأمراض الاجتماعية بين أبنائها يمثل نسبة عالية؛ لوجود خلل في التنشئة الاجتماعية لديهم.

ثانيًا: معالجة الضعف المعرفي:

للمؤسسات التعليمية دور مهم في مواجهة هذه الظاهرة؛ حيث يعتبر من أهداف إنشاء المدارس والجامعات هو بناء شخصية سوية جادَّة مستقيمة، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف لا تخالف الشرع، وترمي

(١) تنشئة الطفل وسُبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص ٦٣، بتصرف.

إلى الذود عن البلد ومكتسباته، وحماية عقول ناشئته من خلال التعليم النافع[1].

ولا شك أن المؤسسات التعليمية تمثل حجر الزاوية في مواجهة هذه الظواهر الخطيرة، ظاهرة الإلحاد، وذلك من خلال ما يأتي:

١ - إعداد مناهج تعليمية تحصن فكر الطلاب.

٢ - إعداد معلم قادر على التفكير وفق المستجدات.

٣ - الاهتمام بمستوى التعليم، لبناء حصيلة معرفية قوية للطالب يستطيع من خلالها مواجهة الأفكار الهدَّامة عامة.

٤ - الاهتمام ببناء العقل الناقد لدى الطلاب، فإن أسلوب التلقين يعود الطالب على التبعية الفكرية، ويضعف استقلاله الفكري، مما يؤدي إلى سهولة استقطاب الشباب وإقناعهم بأي فكر مهما كان غثًّا.

٥ - ينبغي أن يكون التعليم هو مصدر المعرفة الدينية لدى الطلاب، وهو الذي يضع القاعدة الأساسية التي يبنى عليها

---

(١) انظر: خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد، أحمد خالد الطحان، بحث على موقع الألوكة، الإنترنت، ص ٥٥.

الإنسـان بعـد ذلك في حـياته المـعرفية، فإذا استقـامت القاعـدة واعتدلـت استقـام البناء، وإذا اعـوجت اعـوج البناء.

٦ - أن تحتوى المناهج التعليمية الحد اللازم من المعلومات الدينية الصحيحة والوسطية، والتي يحتاجها الإنسان في دينه عقيدةً وعبادةً وسلوكًا.

٧ - أن تكون المناهج الدينية باعثة على الإيمان، تجمع بين تنشيط العقل والفكر من جانب، وتقوية العاطفة الدينية والمشاعر الروحانية من جانب آخر.

٨ - وحدة الأهداف التي توضع من أجلها المناهج الدراسية الدينية والعلمية، بحيث تتعاون هذه المناهج في تحقيق الأهداف الموضوعة مسبقًا، ولا ينقض المناهج بعضها بعضًا.

ثالثًا: تفعيل دور الدين في التنشئة والتعليم:

لا بد أن يكون للدين دور أساس في التنشئة الاجتماعية، والمناهج التعليمية والتربوية؛ لأن الدين هو السبيل الوحيد للإجابة عن الأسئلة التي تعترض طريق العقل في وصوله

إلى معرفة ربه، ولذلك فهو شريك أساس في مواجهة الإلحاد،وأهمية دوره تكمن فيما يلي:

١ - أن الدين هو السبيل الوحيد لمعرفة الله ﷻ معرفة صحيحة، ومعرفة مبدأ الكون وغايته ومآله، وكيفية علاقة العبد بربه.

٢ - أن الدين يحدد سلوك الإنسان وينظم علاقته بالآخرين.

٣ - أن الدين هو الذي يشبع الحاجات الروحية للإنسان، فإذا ضعف دور الدين في إشباع هذا الجانب فإنه يحل محله اللجوء إلى الدجل والخرافات.

٤ - أن الدين يدفع الإنسان إلى طلب العلم وإعمال العقل، والأخذ بالأسباب، والربط بين الجانب التعبدي والجانب العلمي، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1] .

آليات تفعيل دور الدين في مواجهة الإلحاد:

يتجلى دور الدين في مواجهة الإلحاد من خلال النقاط التالية:

---

(١) [سورة فاطر، الآية ٢٨].

١ - تجديد الخطاب الديني .

٢ - دراسة الخطابات الدينية المختلفة والسائدة، وبذلك نصل لمعرفة الأزمة ووضع الإستراتيجيات لعلاجها.

٣ - التأكيد على رجوع العلماء إلى النص، واستنباط الأحكام منه، ومعرفة أنه لا حرام إلا بنص، فالتحليل والتحريم خاص بالله تعالى، وما لا يوجد نص صريح فيه يبقى في مجال الاجتهاد، وأن لا يطلق القول فيه بالتحليل والتحريم، كما كان يفعل الأئمة المجتهدون في الأمور الاجتهادية، فيقولون: أكرهه، ولا بأس به، ولا يقولون: حرام، أو حلال[١].

٤ - تفعيل قاعدة تغير الفتوى بتغير ظروفها الأربع (الزمان والمكان والأحوال والأشخاص)، وتجدد الاجتهاد في كل عصر، فلا بد لأهل كل عصر من اجتهاد جديد يتوافق مع متغيرات عصرهم، ويحل مشكلاته.

٥ - المحافظة على أساليب اللغة العربية وقواعدها في

---

(١) انظر: الرد على سير الأوزاعي: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، ط الأولى، ص ٧٢، ٧٣.

تفسير النصوص وتأويلها، باعتبارها نقطة انطلاق في تجديد الخطاب الديني.

٦ - معالجة المشكلات المثارة حول التراث، وعدم الاعتماد الدائم والكلي على القديم، وابتكار مناهج خاصة في تناول العلوم، مع الحفاظ على التراث بوصفه حلقةً من حلقات البناء المعرفي للأمة.

٧ - التركيز على وسطية الإسلام، وتنقيح الفكر الديني مما شابه من إفراط أدى إلى التشدد، أو تفريط أدى إلى الانحلال.

٨ - الاهتمام بالعقل ودوره سواء في فهم النص الديني، أو تعمير الكون، وشتى ممارسات الحياة.

٩ - البُعد عن الخرافة، والاهتمام ببناء العقلية النقدية لا العقلية الخرافية.

وللمؤسسات الدينية دور فاعل في مواجهة ظاهرة الإلحاد، ويتم هذا بأمرين:

أ- إعلام الناس بفقه مقاصد الشريعة الغرَّاء:

إن علماء الأمة هم رجالها الأوفياء، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر،

ورثوا العلم عن الأنبياء، مصداقًا لقول المعصوم ﷺ: (إن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلمَ، فَمَنْ أَخَذَ به أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[1]؛ لذا جاء الحث على طلب العلم، وأنه فريضة على كل مسلم، وأن الله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، كما بين القرآن الكريم أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]، ولذا فإن دور العلماء كبير، ومسئوليتهم خطيرة .

وإذا كنا في عصر العولمة نطالب بتجديد خطابنا الدينى في خطابنا للآخر، فإنه من باب أولى أن نجدد خطابنا لأنفسنا وذواتنا، وأن يكون المتصدون لدعوة الناس ووعظهم على قدر من العلم والفطنة ما يؤهلهم لإمامة الناس وتوجيههم.

فعلى الخطباء والواعظين أن يتوسطوا في خطابهم للناس، وأن ينزلوا إلى واقعهم، بدعوتهم إلى الخير، إلى حسن الجوار، إلى حسن المعاملة، إلى الإخلاص في العمل،

---

(١) سُنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٢/ ٣٤١، برقم ٣٦٤١.
(٢) [سورة فاطر، الآية ٢٨].

إلى نهضة بلادهم وعلو شأنها، وأن يبينوا للناس أن من مقاصد الدين العليا الحفاظ على العقل، والإكثار من التفكر في خلق الله في الأرض والسماء؛ ولذا فقد حرم كل ما يذهبه أو يضره، أو يأخذه بعيدًا عن الغاية التي لأجلها خلق، وأن يكون قدوة في كل ذلك.

ب- إعلام الناس بفقه الأولويات وفقه الموازنات:

وذلك من خلال تأسيس فقه الأمة في مقابل فقه الفرد، الذي سيطرت الفتوى وبيان الأحكام عليه قرونًا عديدةً، ويجب على علماء الأمة بيان صحيح الدين للناس وفق فقه الأمة، وأن تكون فتوى العلماء بعد معرفة الواقع وكيفية إنزال النص عليه، وأن يراعى في فتواه حال الأمة لا حال الفرد؛ لأن كثيرًا من الشباب الذين انحرفوا عن وسطية الدين أو تركوه بالكلية إنما كان انحرافهم نتيجة الفتاوى الجامدة والشاذة التي لا تراعى مقاصد الشرع الحنيف.

رابعًا: تفعيل دور الأفراد في مواجهة ظاهرة الإلحاد:

للأفراد دور لا يقل أهمية عن دور الهيئات والمؤسسات في مواجهة ظاهرة الإلحاد، ويتمثل هذا الدور في محورين:

الأول: وقاية الفرد نفسه من الوقوع في براثن هذه الظاهرة، والثاني: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ تحبيبًا للناس في خالقهم وحماية لأفكارهم ومعتقداتهم، ومن ثَمَّ دينهم.

(١) وقاية الفرد نفسه من الوقوع في الإلحاد:

إذا كان الناس عامة والمسلمون منهم على وجه الخصوص يسعون في هذه الحياة بجد واجتهاد؛ لتحقيق سعادتهم ورفاهيتهم ورفع مستوى معيشتهم في جميع جوانبها المادية، فإنهم مطالبون في الوقت نفسه بتحصين أنفسهم وأبنائهم من التيارات الوافدة، وبخاصة تلك التي تتعلق بالدين والمعتقد، مثل: تيار الحداثة، وحملات التغريب والاستشراق، والتي قد تنتهي بالبعض إلى الشك في ثوابت دينه أو إنكار بعض نصوصه المقدسة، أو محاولة تنحيتها عن حياته، مما قد يجره إلى ما لا تحمد عقباه من الوقوع في إنكار الدين، ويتمثل هذا التحصين فيما يلي:

أ- **التحصين المادي**: ويكون ذلك من خلال أمور عدة، من أهمها:

- **تفعيل دور الزكاة:**

إن غياب ركن الزكاة وعدم فقهه عند كثير من المسلمين أسهم في انتشار الفقر والمرض والجهل، وهي الركن الذي يعمل على وجود التكافل الاجتماعي بين الناس، فقد شرعت الزكاة لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وجعلها الله ﷻ ركنًا من أركان الدين لأهميتها في حفظ استقرار المجتمع، وراحة أبنائه.

- **الإنفاق في حدود الشرع:**

ليس معنى احترام الإسلام للملكية الفردية أن ينفق الإنسان ماله فيما يريد أو يهوى، ولكن الإنفاق محدود بالشرع، فإذا جمع المال من حلال، فعليه أيضًا أن ينفقه في حلال؛ لأن «الإنفاق والتثمير وظيفة اجتماعية جعلها الإسلام تكليفًا شرعيًّا، بل جعل وجوب الإنفاق من مقتضى الإيمان بالله ورسوله»[1] يقول الله ﷻ ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾[2].

---

(١) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، لفتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص١٦٤.
(٢) [سورة الحديد، الآية ٧].

من هذا المنطلق وجدنا السُّنة المطهرة تقرر «أن في المال حقًّا سوى الزكاة»، وذلك تقريرًا لحق الجماعة في مال الفرد، لا سيما وقت الضـرورة حين يداهم البلاد خطر محدق، أو يخلو بيت المال من الأموال، أو تقع كارثة عامة، أو يتعرض الناس لأي نوع من الأخطار.

ب ـ التحصين الثقافي:

وذلك بـأن يقـبل الأفـراد عـلى القرآن الكـريم والسُّنة النبوية الصحيحة المطهرة قراءةً وحفظًا وتدبرًا وفهمًا، فهما الحصن الواقى للشباب من الوقوع في هذا الخطر الداهم، والوقاية خير من العلاج.

وعلى الأفراد أن ينظروا عمن يأخذون دينهم، وأن يزوروا المراكز المتخصصة والمعتمدة في رصد الأفكار الشاذة والمنحرفة التي تبث في مواقع النت وكتابات الكتاب والرد عليها، حتى يحصنوا أنفسهم وغيرهم من الوقوع في براثن الأفكار الهدَّامة.

(٢) أهمية الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة:

إن الدعوة إلى الله تعالى مطلوبة، بل واجبة؛ لأنها تعليم وتربية، وعليها عـماد السعادة في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله ﷻ بها نبيه فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1]، وأمر بها المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2] وجعلها عنوان شرف الأمة وخيريتها، فقال جل شأنه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3].

وحذر الإسلام من التهاون والتقصير فيها، وذمَّ أقوامًا بذلك، فقال ﷻ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[4].

فالدعوة إلى الخير توجه لكل إنسان ومن كل إنسان، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا بد أن يرى المدعو في الداعية أنموذجًا عمليًّا لما يدعو إليه؛ وذلك من خلال سلوكه وأفعاله؛ لأن الناس تؤمن بشخصية الداعي قبل إيمانهم برسالته ودعوته.

---

(١) [سورة النحل، الآية ١٢٥].

(٢) [سورة آل عمران، الآية ١٠٤].

(٣) [سورة آل عمران، الآية ١١٠].

(٤) [سورة المائدة، الآيتان ٧٨-٧٩].

الطرق العلاجية لمواجهة الإلحاد

إن علاج قضية الإلحاد هو جـزء مـن الوقاية منه، سواء أكان ذلك بمحاولة إعادة من ألحد إلى حظيرة الإيمان، أو مواجهة دعـاة الإلحاد برد شبههم؛ لأن هؤلاء يبثون أفكارهم في عقول أفراد المجتمع؛ لذا فمقاومتهم هو جزء من وقاية غيرهم من الوقوع في الإلحاد والشك.

ونستطيع أن نواجه ظاهرة الإلحاد من خلال العناصر الآتية:

أولًا: دور المؤسسات الدينية.

ثانيًا: دور المؤسسات الثقافية والتعليمية.

ثالثًا: دور وسائل الإعلام.

رابعًا: اتباع منهج الحوار والإقناع، ودوره في رد شبهات الإلحاد.

أولًا: دور المؤسسات الدينية:

لا شك أن للمؤسسات الدينية دورًا مهمًّا في مواجهة ظاهرة الإلحاد؛ لما لهذه المؤسسات من مكانة في قلوب الناس، وتأثير قوى من خلال التواصل المباشر معهم عبر الخطب، والدروس، والقوافل، والمحاضرات والإصدارات، والندوات، والمؤتمرات التي تُعقد لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ونشر الوعي، ومحاربة التطرف، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإظهار المقاصد السامية للشرائع السماوية، وبيان أنها لا تتعارض مع الفطرة السليمة، يقول تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

ولا شك أن الشرائع السماوية قد أجمعت على ما فيه خير البشرية، وما يؤدي إلى سلامة النفس والمال والعرض، وقيم العدل، والمساواة، والصدق، والأمانة، والحلم، والصفح، وحفظ العهود، وأداء الأمانات، وصلة

(١) [سورة الروم، الآية ٣٠].

الأرحام، وحق الجوار، وبر الوالدين، وحرمة مال اليتيم، وصالح البلاد والعباد؛ فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية، ولم تنسخ في أي شريعة منها.

وفي ضوء ما تمر به منطقتنا من استهداف متعدد الجوانب من خلال حروب الجيل الرابع التي تهدف إلى تمزيق المجتمعات وتحللها في جميع الجوانب قيمًا وأخلاقًا بشتى السبل: بالإرهاب المصنوع، والإلحاد الموجه أو الممول، وإثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية، فصار الإلحاد موجهًا ومسيَّسًا وممولًا، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك، فإنه لا أحد ينكر الخطوات الملموسة التي تقوم بها المؤسسات الدينية في تصحيح الكثير من الأفكار المغلوطة، وتجديد الخطاب الديني، واسترداده بعد ما كان مختطفًا لعقود طويلة، مع تأكيدنا على أننا في حاجة إلى تكامل الأدوار وتنسيقها، وبذل المزيد من الجهد والعطاء المشترك في معالجة سائر الظواهر السلبية، وترسيخ المفاهيم والقيم الإيجابية.

كما ينبغي أن تتسع دائرة هذا التنسيق لتشمل سائر الوزارات والهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية المعنية بالفكر وبناء الشخصية لمواجهة كل هذه التحديات.

ومن بين ما قامت به وزارة الأوقاف المصرية لمواجهة ظاهرة الإلحاد نذكر ما يلي:

١ - العمل من خلال الخطب والدروس والندوات والمقالات الصحفية والأحاديث الإعلامية والقوافل الدعوية والدورات التدريبية والمدارس العلمية والقرآنية على تقوية الحس الإيماني، وتحصين النشء والشباب من مخاطر الفكر الإلحادي.

٢ - عقد دورات تدريبية لشباب الأئمة عن «مداخل الإلحاد ومهارات التواصل والحوار».

٣ - إقامة صالون الأوقاف الثقافي، تحت عنوان «الإلحاد أسبابه ومخاطره؟ وهل هو ظاهرة أو عرض؟

٤ - إقامة «ملتقى الفكر الإسلامي» تحت عنوان : «بين التطرف والإلحاد».

٥-عقد العديد من الندوات والمحاضرات العلمية الكبرى تحت عنوان : «مخاطر الإلحاد وسُبل مواجهته».

٦-التعاون مع وزارة الشباب والرياضة في مبادرة «بالعقل كده» من أجل حوار هادف موجه، وتفنيد شُبه الملحدين بالحجة والبرهان.

ثانيًا: دور المؤسسات الثقافية والتعليمية:

لهذه المؤسسات تأثير كبير في نفوس الجماهير، ولا شك أن معالجة ظاهرة الإلحاد والتصدي لها - من الناحية الثقافية والتعليمية - يقع على عاتق الكتاب والأدباء والمفكرين والمعلمين، كما يقع على عاتق أهل الفن والمسرح، وكُتَّاب الرواية والفنانين التشكيليين ونحوهم ممن لهم باع كبير في هذا المجال؛ حيث إن لهم جمهورًا كبيرًا من المتابعين الذين يتأثرون بما يقدمون من أعمال، وواجب هؤلاء خطير؛ حيث إنه من الواجب عليهم أن يقدموا ما يخدم دينهم وعقيدتهم وأوطانهم، كما يجب أن يتصدوا - من خلال أعمالهم - للهجمات الفكرية الشرسة التي تتعرض لها العقيدة؛ حتى يحصنوا الشباب من الحملات الوافدة، وبخاصة تلك الأعمال التي غزت بيوتنا جميعًا بعد عصر

السموات المفتوحة، والتي يعبر بعضها عن ثقافات وقيم مختلفة، ربما تنال من قيمة الدين ومكانته فضلًا عن إنكاره.

إن دور الأدب - من شعر ونثر وأعمال فنية - لا ينكر في مواجهة ظاهرة الإلحاد، فالأعمال الفنية لها تأثير كبير في نفوس الصغار والكبار على حد سواء، فالأدب والمسرح والفن التشكيلي والرواية والقصة القصيرة وغيرها من الفنون الجميلة مثلها مثل غيرها من الوسائل، فيمكن أن تكون حائط صد ضد الأفكار المنحرفة الواردة والمحلية.

كما أن لدور العلم والعلماء وواضعى المناهج دورًا عظيمًا في تشكيل الوعي العلمي والبحثي لدى المجتمع، على أسس منهجية، بما يمكنه من مواكبة العصر وإنجازاته، والمشاركة في صناعة أحداثه وحضاراته الحديثة، دون انبهار يُخلِّف عجزًا، أو يأس يُخلِّف انسلاخًا عن الذات والهوية والحضارية.

لذا وجب على المسئولين عن الثقافة والتعليم أن يتعاونوا مع المؤسسات الدينية ووسائل الإعلام؛ من أجل حماية مجتمعنا عامة وشبابنا خاصة من الانجراف أو الانحراف نحو هذه الأفكار الشاذة والمعتقدات الباطلة، التي تنتهي

حتمًا بما لا تحمد عقباه، وأن يقدموا المحتوى الذي يحمى العقيدة ويدافع عن الدين ويخدم الوطن.

ثالثًا: دور وسائل الإعلام:

لا ينكر أحد أن للإعلام فعل السحر في نفوس الناس وعقولهم وقلوبهم، ويمكن لوسائل الإعلام المختلفة أن تتبنى حملة لتوعية الشباب بمخاطر الإلحاد على الفرد وعلى المجتمع؛ حيث إنه انتهى بكثير من الناس إلى الانتحار وإنهاء حياتهم حين أدركوا أن وجودهم لا جدوى منه، وأن حياتهم لا قيمة لها، فهي والعدم سواء؛ لذا أقبلوا على الموت غير هيابين له، وبذلك يعملون على تقويض مجتمعاتهم وتدميرها بدلًا من الحفاظ عليها وإسعادها.

ويدخل في نطاق هذه الحملة توعية الناس بضرورة فهم مقاصد الدين، وأنه شرع أحكم الحاكمين الذي جاء لتحقيق سعادتهم في الدنيا وفوزهم وفلاحهم في الآخرة.

رابعًا: اتباع منهج الحوار والإقناع ودوره في رد شبهات الإلحاد:

إن من أفضل طرق العلاج طريقة الحوار والإقناع، ومقارعة الحجة بالحجة، بحيث نقدم الأدلة التي تفكك

مذهب الملحدين وتنقض شبهاتهم، فقد استخدم القرآن الكريم منهج الحوار في إقامة الحجة على الخصم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وبجانب الرد على الشبهات الخاصة بكل فرد، فهناك محاور عامة لابد أن يتناولها الحوار، من أهمها:

المحور الأول: ويخص مسألة بدء الكون والرد على الداروينية، والقول بالصدفة والتطور، وإقامة الحجة على القول بالخالق.

ولا بد أن نفهم ونحن نحاور الملاحدة أنهم ينطلقون في قضاياهم الأساسية - كالقول إن الكون نشأ تلقائيًّا، وأن الحياة وجود مادي، وأن العقل البشري من نتاج الانتخاب الطبيعي - من الاعتقاد لا من العلم، فهم يؤمنون بهذه الأفكار دون دليل علمي أو فلسفي[2].

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٥٨].

(٢) رحلة عقل، د. عمرو شريف، ص٤١.

بل إن عامة المجتمع العلمي يؤمن بخالق لهذا الكون بعدما واجههم الكون بما فيه من تصميم وذكاء أدى بهم إلى القول بنظرية «التصميم الذكي»[1]، هذه النظرية هي التي دفعت أحد كِبار الملاحدة في القرن العشرين للاعتراف بوجود إله، وهو «أنتونى فلو»؛ حيث اعترف في آخر عمره بوجود إله، وكتب كتابًا بعنوان «هناك إله» استعرض فيه تجربته من الإلحاد إلى الشك إلى اليقين.

وعلى ذلك فإن الرد على حجج الملاحدة في هذا الجانب ستكون بآراء هؤلاء العلماء، والتي أدت اكتشافاتهم العلمية إلى نقاط تنقض أوهام الإلحاد من جذوره، وأهم هذه الاكتشافات ما يلي:

أولًا: أن الكون له بداية ونشأ من العدم (وهو ما أثبته علماء فيزياء الكم).

ثانيًا: أن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة ومترابطة.

ثالثًا: نشأة الحياة بكل ما فيها من دقة وغائية، من المادة غير الحية.

---

(١) انظر: الله يتجلى في عصر العلم: تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على إخراجه: جون كلو فرمو نسيها، ترجمة: د. الدمرداش عبد الحميد سرحان، دار القلم بيروت، لبنان ١/ ٤٢.

رابعًا: أن الكون بما فيه من موجودات وقوانين، يهيئ الظروف المثلى لظهور الإنسان ومعيشته على الأرض، وهو ما يعرف بالمبدأ البشرى.

خامسًا: أن القدرات العليا للعقل لا يمكن أن تكون نتاجًا مباشرًا للنشاط الكهروكيميائي للعقل[1].

إن العلم الحديث قد وجه أقوى صفعة للإلحاد والملحدين، حينما أثبت مؤسسو فيزياء الكم أمرين مهمين:

الأول: أن للكون بدايةً وأنه ليس أزليًّا، وترجع بدايته إلى ما يقرب من ١٣,٧ بليون سنة مضت.

والثاني: أن الكون نشأ من عدم، عن طريق الانفجار العظيم، وهو ما يدعم حجج المؤمنين منذ القدم.

«البرهان الكونى» التصميم الذكى:

وبناءً على ما سبق يصاغ برهان «التصميم الذكي»، وهو قائم على أن «دقة بناء الكون وما عليه من الطبيعة من نظام وانتظام يشير إلى مصمم ذكى»، فالكون على

---

(١) رحلة عقل، د. عمرو شريف، ص٧٥، وهناك إله، ترجمة: د.صلاح الفضلى، طبع بواسطة المترجم، ط الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، ص١٠٦.

عظمه واتساعه وتنوعه، يخضع لقوانين مترابطة مع بعضها باتساق وانتظام، وهذا الاتساق والانتظام هو ما يعطي قوانين الطبيعة دلالتها على الخالق[1].

برهان «فترة الترك»:

وقد يحاول الملحدون التملص من هذه الحقيقة عن طريق القول بأن الكون بما فيه من مادة وطاقة - والذي بدأ من لا شيء، أو كما يقول علماء الفيزياء الحديثة: إن مستوى الطاقة عند بدء الكون صفر- نشأ تلقائيًّا دون حاجة إلى موجد، وهو ما يرفضه علماء الفيزياء.

فيكون الرد عليهم بدليل فلسفي وهو ما سماه ريتشارد سوينبرن برهان «فترة الترك»، والذي أخبر صاحبه أنه استفاده من علماء الكلام المسلمين، ومفاده: «إذا كان العدم يمتد إلى ما لا نهاية في القدم، وإذا كان للكون بداية، فلم نشأ الكون في هذا الوقت الذي نشأ فيه؟ لو تُرك الكون دون نشأة لفترة، ثم حدث في وقت ما في الزمن اللانهائي أن خرج الكون للوجود، لابد أن هناك عاملًا مرجحًا دفعه للوجود»[2].

---

(١) رحلة عقل، د. عمرو شريف، ص ٨٣، ٨٤، وهناك إله، ص١١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٨١، ٨٢.

المحـور الـثاني: ويختص بالرد على مشكلة الشر وتعلق الفعل الإلهي به.

فإن هذه المسألة من أسباب الاندفاع نحو الإلحاد، يقول «أنتونى فلو»: «يمثل إحساسى بمعضلة الشر والألم أحد العوامل المبكرة وراء اندفاعى تجاه الإلحاد»[1]، وقد قادت هذه الشبهة الكثيرين إلى الإلحاد، فكيف يكون هناك إله ويسمح بكل هذه الشرور.

والحقيقة أن مسألة الشر لا تتعلق بمسألة وجود الإله بل بصفاته؛ لذا فإن علماء العقيدة من المسلمين أدرجوا هذه القضية في الحديث عن عموم إرادته تعالى، وفي الحديث عن أفعاله تعالى[2]، فوجود الشرور والآثام والنقص في الكون ليس دليلًا على إنكار وجود الله.

كما أن أهل الأديان قد ردوا على هذه الشبهة بوُجُوه، منها:

١- أن الإنسـان خـلق مخـتارًا ومسـئولًا عن أفعـاله، ووجود الشر في الكون ضرورة ناتجة عن اختيار الإنسان،

---

(١) رحلة عقل: عمرو شريف، ص٤٨، وهناك إله، ص ٥٩.

(٢) انظر: شرح المقاصد، سـعد الدين التفتازانى، تحقيـق: د. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٤/ ٢٦٥.

وهي ابتلاءات للإنسان، فـالآلام التي وقـعت للإنسان إما أن تكون بسـبب وزر فعـله فهي تكفير لذلك الوزر، وإما تكون من الله تعالى فيعوض عنها يوم القيامة، وإما تكون من إنسان لإنسان فيقتص من الظالم للمظلوم يوم القيامة[1].

٢- استناد الملاحدة في إنكارهم لله على وجود الشرور والآثام؛ لأنه يؤدي إلى نقص في الإله، يرد عليه بفروض عقلية ثلاثة:

- أن يوجد إله قدير ولا يخلق شيئًا.

- أن يكون إلهًا قديرًا ويخلق عالمًا يماثله في الكمال.

وهذان الفرضان مستحيلان.

- ويبقى الفرض الثالث وهو عالمنا هذا بما فيه من نقائص وآلام، وتصور هذا الفرض أقل صعوبة من تصور الفرضين الأوَّلين.

---

(١) انظر: شرح المواقف: الشريف الجرجاني، مع حاشـية السيلكوتي والجلبي، مطبعة السعادة، مصر، ط الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، ٨/ ١٩٨.

وتوضيح ذلك أن الإله القدير الذي لا يخلق شيئًا كما هو الحال في الفرض الأول نقيصة لا تستقيم في التعبير ولا في التفكير؛ لأنه لا معنى للقدرة إلا أنها اقتدار على عمل من الأعمال، وأن الكمال المطلق الذي يخلق كمالًا مثله كما في الفرض الثاني نقيصة لا تستقيم أيضًا في التعبير ولا في التفكير؛ لأن الكمال المطلق صفة منفردة لا تقبل الحدود، ولا أول لها ولا آخر، وليس فيها محل لما هو كامل وما هو أكمل منه، وبديهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق، وأنه لا بد من نقص في المخلوق يتنزه عنه الخالق... وعلى هذا فوجود الشر في العالم لا ينافي صفة الكمال والقدرة الإلهيين، وهو من غير شك أقرب إلى التصور من الفرضين السابقين»[1].

واستنادًا إلى ما سبق نؤكد على أمرين:

الأول: وهو أن التطور ليس بديلًا عن الإله، فالتطور بوصفه نظرية قد تفسر بعض المسائل العلمية، ولكنها تعجز عن تفسير الغاية من الكون والحياة، وكيف نشأت

(١) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مواجهة التيار الإلحادي، د.محمود عبد الحكيم عثمان، ص٢٥١، ٢٥٢.

الحياة من المادة غير الحية، وكذلك تفسير الوعي والتفكير وغير ذلك؛ ولذا فإن صاحب نظرية التطور نفسه والذي اتهم بالإلحاد، قد وقف عاجزًا أمام ذلك؛ ولذا فقد ذكر في سيرته الذاتيه إيمانه بوجود إله، فقال: «العقل يقول لي: إنه من الصعب بدرجة كبيرة بل من المستحيل، أن ندرك هذا الكون الهائل والرائع، بما في ذلك الإنسان مع قابليته على النظر إلى الماضى البعيد والذهاب بذهنه إلى المستقبل البعيد، ليقول بعد ذلك بأن هذا الكون حدث بالصدفة العمياء، أو الضرورة، عندما أتأمل بذلك أجد نفسى مضطرًا للميل إلى السبب الأول الذي يمتلك عقلًا ذكيًّا يشابه بدرجة ما الإنسان، عندها أستحق أن أوصف بالموحد» [1].

وأيضًا فإن كثيرًا من التطوريين قد أفسح المجال للدين وللقول بوجود إله مثل «هربرت سبنسر»، حيث يقول: «إن المستحيل أصلًا تصور أن لا موضوع لمعرفتنا سوى الظواهر دون أن نتصور في الوقت نفسه موجودًا تكون هذه الظواهر ممثلة له، إننا في تصورنا للمتناهي نتصور

(١) نقلًا عن: هناك إله، أنتونى فلو، ص ٩٣.

الموجود والنهاية، وفي تصورنا للامتناهي ننفي النهاية ولا ننفي الموجود»[1].

الثاني: أن لعلماء الكلام المسلمين، وجهودهم التي بذلوها لرد الشبه وإثبات الإيمان بالعقل أثر كبير؛ حيث إن أدلتهم التي صاغوها ما زالت تعين الملحدين للخروج من الشك إلى اليقين حتى الآن، وهذا يدل على قوة عقولهم، ونفاذ بصيرتهم، ولو قارنا بين أدلة المتكلمين والأدلة التي ذكرها أنتونى فلو لوجدنا تطابقًا، فدليل التصميم الذكى ما هو إلا دليل الاتساق والإتقان الذي استخدمه المتكلمون في إثبات الصانع وإثبات كون هذا الصانع عالمًا قادرًا[2].

أما برهان «فترة الترك» والذي ذكر صاحبه أنه استفاده من علماء الكلام المسلمين، فلا يخلو كتاب من كتب علماء الكلام عنه، وهو أنه لا يمكن «تخصيص العالم بوقته الذي أوجده فيه بلا مرجح مخصص، مع أن سائر الأوقات تساويه في صحة الإيجاد فيها»[3].

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) اللمع: أبو الحسن الأشعرى، تحقيق: أ.حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، ص ٢٤، التوحيد، أبو منصور الماتريدى، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ص ٢٠.

(٣) شرح المواقف، الشريف الجرجانى، ٣/ ١٣٧.

وكذلك ما استند إليه «أبراهام فارجيس» الذي كتب خاتمة كتاب «هناك إله» في الرد على شبهة الملحدين التي تقول: «إذا كان الإله قد خلق الوجود فمن خلق الإله» بأن ذلك مخل بالمنطق؛ لأنه يؤدي إلى التسلسل المستحيل عقلًا، وهو نفس ما استند إليه المتكلمون ومثبتو الإله من الفلاسفة[1].

وينطبق أيضًا تصور أنتونى فلو عن الإله مع علماء الكلام المسلمين، فهو إله غير مادي خارج حدود الزمان والمكان؛ حيث منعوا أن يوصف الحق تعالى بما يفيد دخوله تحت حدود الزمان أو المكان، فلا يقال: إن الله خارج العالم أو داخله.

والمقام هنا ليس مقام تسجيل لموقف تفوق أو أستاذية لعلماء الكلام المسلمين، على علماء اللاهوت الغربيين، وإن كانت التلمذة قد حدثت بالفعل، وإنما هو إنصاف لعلماء الكلام، والإشارة إلى مجهودهم الضخم في هذا المجال، والذي لا يزال مؤثرًا، في مواجهة التيارات المتطرفة فكريًّا وعقائديًّا[2].

---

(١) هناك إله، أنتونى فلو، ص ١١٣.

(٢) انظر: الإلحاد وسائله وخطره وسُبل مواجهته: د.صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، ص ٧٦، ٧٧.

وفي الختام لا بد أن نذكر أن عقيدة نفي الإله عند الملحدين غير حتمية، ولذلك فقد عنون «ريتشارد دوكنز» في كتابه «وهم الإله» لفصل بعنوان: «لماذا الاحتمال الأكبر هو عدم وجود إله»[1]، وذلك هو أكبر نقض وهدم لنظريات الإلحاد وأفكاره؛ لأن الملحد هو الخاسر الأكبر إذا تحقق الاحتمال الضعيف - في وجهة نظره - بوجود إله، أما المؤمن فلن يخسر شيئًا، وقد ذكر القرآن هذه الحجة على لسان مؤمن آل فرعون حينما قال: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[2].

* * *

(١) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ترجمة: بسام البغدادى، ط الثانية، ص ١١٣.
(٢) [سورة غافر، الآية ٢٨].

المراجـــع

١) أخبار مكة، الأزرقي، تحقيق: رشدى الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت.

٢) أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشـر، ٢٠٠٠م.

٣) إرشاد الساري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، السابعة، ١٣٢٣هـ.

٤) الإسلام في حياة المسلم، محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م.

٥) الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود، دار المعارف.

٦) الإسلام يتحدى.. مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تقديم: د. عبد الصبور شاهين، ترجمة: ظفر الدين خان، د.عبد الصبور شاهين، الدار العالمية للنشر ٢٠١٤م.

٧) الإسلام يتصدى للغرب الملحد، النشواتي، ط. دار القلم، دمشق.

٨) أصل الأنواع، نظرية النشوء والارتقاء، تشارلز داروين، ترجمة: إسماعيل مظهر، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٥٩م.

٩) الإلحاد خطر كامن يُهدد الشباب (الحقيقة والأسباب والعلاج)، د. ضياء دويدار، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

١٠) الإلحاد مشكلة نفسية، د.عمرو شريف، مراجعة: د.أحمد عكاشة، ط. نيو لوك للطبع والنشر.

١١) الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، لصالح إسحاق بامبا صالح رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

١٢) الإلحاد وأسبابه ومفاتيح العلاج، محمد ناصر، ط. مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، العراق.

١٣) الإلحاد وسائله وخطره وسُبل مواجهته، د.صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، دار اللؤلؤة، بيروت - لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٤) الإلحاد.. تعريفه وأشكاله ونشأته، د. خالد بن محمد الشهري، مقالات على موقع الألوكة بالإنترنت.

١٥) بناء الوعي، أ.د.محمد مختار جمعة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

١٦) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، بيروت.

١٨) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط الخامسة.

١٩) تاريخ الفلسفة في الإسلام، لدى بور، ترجمة د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، مصر.

٢٠) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٢١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٢) تمهيد للفلسفة، أ.د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف بمصر.

٢٣) تنشئة الطفل وسُبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، د. زكريا الشربيني، د.يسرية صادق، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

٢٤) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

٢٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مواجهة التيار الإلحادي، د. محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٧) الجينية والبوذية عقائدهما والعلاقة بينهما، د. عبد الله محيي عزب، حولية أصول الدين، العدد: ٥.

٢٨) حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.

٢٩) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٠) الخطر اليهودى.. بروتوكلات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي تقديم: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣١) خلاصة العتاد في مواجهة الإلحاد، أحمد خالد الطحان، بحث على موقع الألوكة، الإنترنت.

٣٢) دراسات في الفلسفة الحديثة، أ.د. محمود حمدى زقزوق، مكتبة مصر، القاهرة.

٣٣) الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، أ.د. عبد الله دراز، مصر.
٣٤) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، للشيخ/ عطية صقر، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، مصر.
٣٥) رحلة عقل، د. عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الرابعة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٦) الرد على الملحدين المسمى «الرد على الدهريين»، السيد جمال الدين الأفغاني، نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ/ محمد عبده مفتي الديار المصرية، مطبعة الموسوعات، مصر.
٣٧) الرد على سير الأوزاعي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى.
٣٨) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، أبو منصور بن الأزهري الهروي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.
٣٩) سُنن أبى داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٤٠) سُنن الدارقطنى، تصحيح: عبد الله هاشم المدني، شركة الطباعة المتحدة، المدينة المنورة.
٤١) شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٢) شرح المواقف، الشريف الجرجاني، مع حاشية السيلكوتي والجلبي، مطبعة السعادة، مصـر، ط الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.

٤٣) صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، القاهرة.

٤٤) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الحلبي، مصر.

٤٥) علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، تقديم: أحمد عكاشة، فرست بوك للنشـر والتوزيع، مصر.

٤٦) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت.

٤٧) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، د.أحمد فؤاد الأهواني، عيسى البابي الحلبي، ط الأولى، ١٩٥٤م.

٤٨) الفكر العربي الحديث.. أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، رئيف خوري، دار الساقي، بيروت.

٤٩) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

٥١) الكليات الست.. رؤية عصرية، أ.د.محمد مختار جمعة، وزارة الأوقاف، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
٥٢) كهنة الإلحاد الجديد، د. هيثم طلعت على سرور صاحب موقع: لا إلحاد على الشبكة العنكبوتية، تقديم: د. عبد الله بن سعيد الشهرى.
٥٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.
٥٤) اللمع، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: أ. حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.
٥٥) الله يتجلى في عصر العلم، لنخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على إخراجه «جون كلو فرمو نسيما»، ترجمة: د. الدمرداش عبد الحميد سرحان، دار القلم بيروت، لبنان.
٥٦) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٥٧) المعجم الفلسفي، لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط الثانية، ٢٠٠١م.
٥٨) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا.
٥٩) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٦٠) مفهوم الفكر المادي، أحمد عبده حمودة الجمل، بحث منشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد الثاني عشر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٦١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ابن زغبية، رسالة دكتوراه، إشراف: د. محمد أبو الأجفان، دار الصفوة، مصر.

٦٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٣) الملل والنحل، الإمام الشهرستاني، تحقيق: أ. محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م.

٤٦) من تاريخ الإلحاد في الفكر الإسلامي، أ.د.عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مصر، ١٩٨٠م.

٥٦) موسوعة الأديان والنحل، د.أحمد أحمد غلوش، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١١م.

٦٦) الموسوعة الإسلامية العامة، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦٧) النبأ العظيم.. نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٦٨) هناك إله، أنتوني فلو، ترجمة د.صلاح الفضلى، طبع بواسطة المترجم، ط الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٦٩) وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ترجمة: بسام البغدادي، ط الثانية.

٧٠) اليونانية قبل سقراط، مكتبة عيسى البابي الحلبي، مصر.

❊ ❊ ❊

الموضوع

مقدمة .	٥
تعريف الإلحاد	١٥
من تاريخ الإلحاد	٢٥
مرحلة الظهور الأول	٣٦
المرحـــلة الوسيــطة	٤٤
مرحلة الظهور الحديث والمعاصر	٥٠
أسباب ظهور الإلحاد	٥٩
أسباب ظهور الإلحاد في العالم الغربي	٥٩
أسباب ظهور الإلحاد في العالم العربي	٦٨

خطورة الإلحاد على الفرد والأسرة والمجتمع ٧٥

أولًا: خطـــورة الإلحاد علـــى الفـــرد ٧٧

ثانيًا: خطورة الإلحاد على الأسرة والمجتمع ٨٧

سُبل مواجهة الإلحاد ١٠١

الطرق الوقائية لمـــواجهة الإلحاد ١٠٢

الطرق العلاجية لمواجهة الإلحاد ١١٩

المـــــراجـــــع ١٣٧

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ ــ ٢٥٧٧٥٢٢٨
٢٥٧٧٥١٠٩ داخلى ١٩٤

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ش ٢٦ يوليو ــ القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو ــ القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ش شريف ــ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى ــ التوفيقية ــ القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر ــ الحسين
ــ القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان
١٣ ش المبتديان ــ السيدة زينب
أمام دار الهلال ــ القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو ــ حلوان خلف مبنى
الجهاز

مكتبة الجيزة
١ ش مراد ــ ميدان الجيزة ــ الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام ــ بالحرم الجامعى
بالجامعة ــ الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم ــ محطة المساحة ــ الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة
المساحة ــ الهرم
مبنى أكاديمية الفنون ــ الجيزة

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى
الزمالك ــ نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبوالفدا ــ القاهرة

مكتبة الإسكندرية
٩٤ ش سعد زغلول ــ الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك ــ المرحلة الخامسة ــ عمارة ٦
مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى ــ بكلية الزراعة
ــ الجامعة الجديدة ــ الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ ــ بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى ــ أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ش الجمهورية ــ أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب ــ المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب ــ جامعة المنيا ــ المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة ــ عمارة سينما أمير
ــ طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا ــ المحلة

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى ــ دمنهور
مكتب بريد المجمع الحكومى ــ توزيع
دمنهور الجديدة

مكتبة المنصـــورة
٥ ش السكة الجديدة ــ المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكـتبـة مـنـوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية
مكتبة طلعت سلامة للصحافة
والإعلام
ميدان التحرير ــ الزقازيق
ت : ٠٥٥/٢٣٦٢٧١٠
ت: ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢

الهيئة المصرية العامة للكتاب